٥٦٩

دار م. النحاس

569

HARLEQUIN

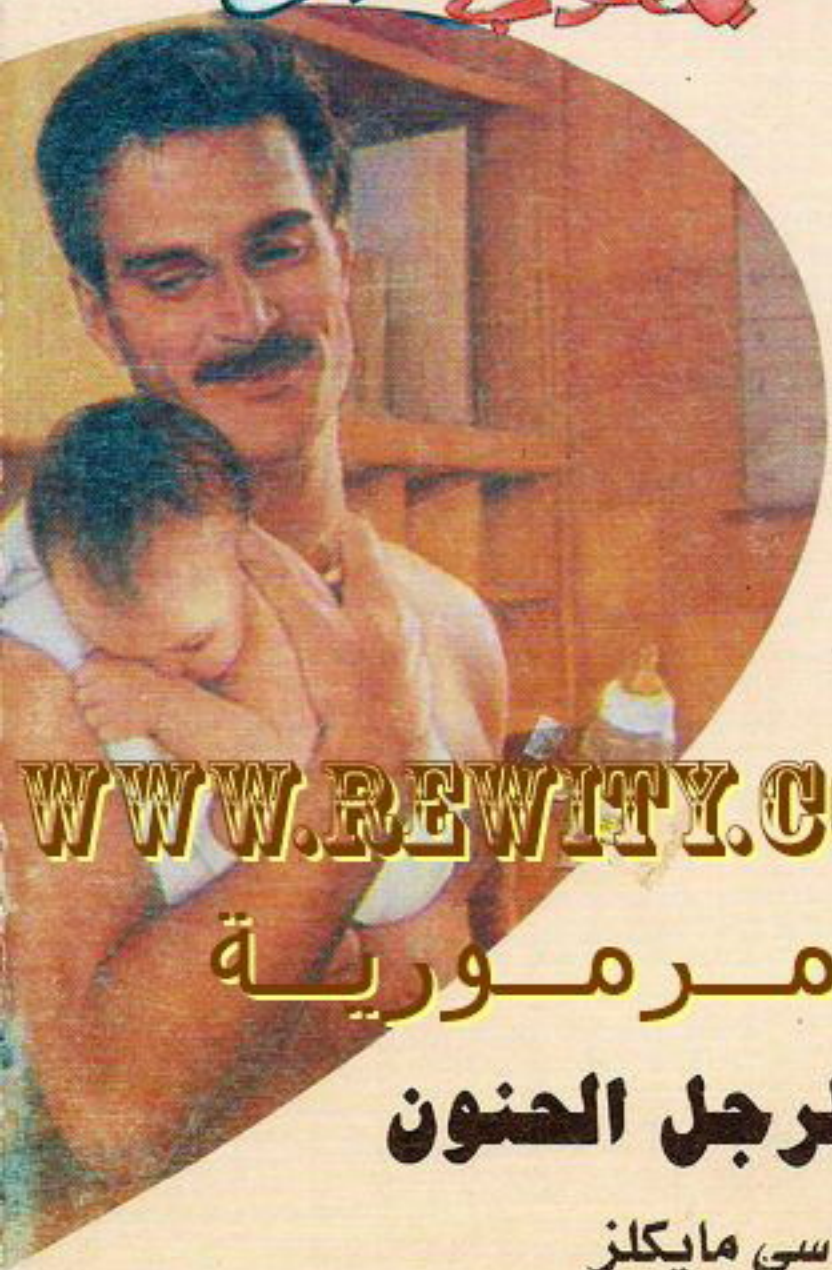

WWW.REWITY.COM

مرمورية

الرجل الحنون

كاسي مايكلز

الرجل الحنون

كاسي مايكلز

حاول غايب لوغان المستحيل لإخراج اريكا فلتشر، سيدة الاعمال المشهورة وخالة ماندي، من منزله لأنها تطالب بأخذ ابنة شقيقه منه.

لكن نظرة واحدة من اريكا الى ماندي جعلتها تشعر بأنها خسرت قلبها. ونظرة واحدة من اريكا الى غايب لوغان جعلتها تدرك بأنها لن تستطيع إبعاد الطفلة عنه. انهم عائلة... العائلة التي تريدها... تحتاج اليها وتحلم بها.

ليت غايب يمنحها الفرصة لتحقق حلمها.

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ دزهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

«إنك لم تستمع إلى عرضي.»

«عرض؟ أي عرض؟»

أجابته: «عرضي بأخذ امانداً منك بالطبع. كن منطقياً يا سيد لوغان، انت رجل اعزب ومن البديهي تربية طفلة صغيرة ستعرقل حياتك من دون أن تنكر مصادرك المالية... إن على امانداً أن تترعرع في بيت والدتها الثري وأن تأخذ حصتها من شركة والدتها أيضاً. انت تستطيع تحديد الثمن الذي تراه مناسباً.»

نظرت إليه لترى ردة فعله. وعلى الفور علمت انها فشلت في ما كانت تسعى لتحصل عليه.

«لا تزعجي نفسك، ان امانداً أليست للبيع.»

كاسي مايكلز

كاسي مايكلز لها العديد من الروايات العاطفية. تقسم وقتها بين الكتابة لدار نشر ميلز اندبون والصحافة. متزوجة ولديها ولدين، تعيش في ضواحي لندن في فيلا ضخمة. لا تحب السفر كثيراً وتفضل كتابة رواياتها من نسج خيالها.

٥٦٩

khouloub Abir 569

الرجل الحنون

كاسي مايكلز

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

WWW.RWITY.COM
مـــرمـــوريـــة

الفصل الأول

قطب غايب لوغان حاجبيه وبدون شعور رفع يده وأخذ يملس على شاربه. ها هي مجدداً في الخارج كما كانت منذ مدة يومين إلى الآن. أعاد إغلاق الستائر المعدنية وأغلق النوافذ. ثم تراجع عن النافذة المطلة على السيارة الزرقاء الراكنة على بعد مسافة قصيرة من منزله الريفي. لقد عانى منذ يومين من شعور مزعج بأن شخصاً يراقبه، أما الآن فلقد تأكد من أنها ليست من مخيلته الواسعة بل أن في الحقيقة هناك امرأة تراقبه.

لقد كانت في حديقة تركسلر عندما اصطحب معه ماندي حتى تلعب على غطاء ممدود على الأرض بينما كان يرسم. رآها أيضاً في السوق التعاونية وهي تملأ عربتها بنصف دزينة من زجاجات البندورة بينما كان مع ماندي يتسوق ككل اسبوع حاجيات المنزل من طعام وشراب.

إنها طويلة القامة شقراء يبدو عليها الثراء والجاه وليس مناسباً وجودها في الحديقة العامة ولا بالسوق المركزي لهذا السبب لاحظ غايب وجودها. لقد شدته بمظهرها الجميل ووجهها ذو التقاسيم الجذابة وشعرها الاشقر المرتب. كل شيء فيها لفت عينيه الفنانتين وصحّى الحس الفني فيه. حتى أنه قاوم رغبة شديدة أحس بها للذهاب إليها وسحب الدبابيس من شعرها حتى ينسدل على ظهرها وكتفيها.

لقد بدا الوضع مصادفة في بادىء الأمر كلما رآها. ثم انتبه إلى أنها دائماً تتواجد أينما ذهب أو حلّ. حتى عندما يكون في منزله وها هي الآن في الخارج تراقبه. ولكن لثلاثة أيام متتالية، بقيت سيارتها مكانها في الرواق... لم يعد الأمر مسلياً. ليس بالنسبة إليه، غايب لوغان رسام الصور التوضيحية للكتب.

أغمض عينيه وفكر. لقد اتخذ قراره، سوف ينتظر حلول الظلام بينما الفتاة الشقراء تبقى طوال الليل ساهرة كما فعلت في الليلتين السابقتين. ثم يتحرك.

كانت الأضواء تنير المنزل. معنى ذلك أن سكانه ما يزالون ساهرين. الآن علمت في أية جهة تقع غرف النوم في المنزل، مع أنها لن تستخدم هذه المعرفة ولن تفيدها بشيء. لماذا لم تستخدم تحرياً خاصاً للاهتمام بالقضية؟ لأن هذه القضية مهمة جداً. فكرت وهزت رأسها. إن الحالة هذه غير جميع الحالات حتى تثق بغيرها ليقوم بها.

اريكا فلتشر، لم تستطع ان تصدق ولم يتقبل عقلها الحقائق التي دفعتها للقدوم إلى هذه البلدة.

انها تشعر وكأن الأمر كان منذ أسبوع فقط لكن شهر كاملاً مر بعد موت مريديث عندما اختبأت في غرفتها تجمع شجاعتها التي ستحتاجها للقيام بهذا العمل الشاق وهو التدخل في حياة شقيقتها الخاصة والشخصية.

ها هي سيارة وحيدة تقترب منها آتية من التلة، أضواؤها مسلطة على وجهها الجميل التقاطيع تعبر الطريق إلى الأسفل. بينما كانت تنظر في مرآة سيارتها وتراقب إختفاء الضوء في الظلام عادت بذاكرتها إلى ذلك اليوم.

واختفى العالم من حولها ومرة أخرى كانت تقف في غرفتها وهي تشعر بعصبية وتوتر من جراء ما حصل. إنه شيء عليها مواجهته. وقد أخرت الموضوع ما فيه الكفاية. حتى أن السيدة جيمس مديرة منزلها قد عرضت عليها القيام بالعمل عوضاً عنها لكنها رفضت رفضاً قاطعاً. إنه عمل لا يقوم به سوى قريبة مريديث الباقية الوحيدة.

كانت مريديث طفلة العائلة المدللة. الشقراء الجميلة التي تكسر القلوب بابتسامتها العذبة. لم يكن عليها أن تتعب نفسها بأي شيء لتحظى باهتمام والديها. فقط وجودها بجمال مظهرها وتصرفاتها كان يجعل الجميع يحبها ويهتم لأمرها.

أما بالنسبة لاريكا التي كانت تكبر أختها مريديث بخمس سنوات وتضع نظارات طبية على عينيها وتربط شعرها بشدة إلى الوراء كذيل الحصان فلقد كان الوضع مختلفاً معها تماماً. لقد كانت دائماً الأخت الجدية والذكية والعادية الجمال.

إن هنري وبلير فلتشر أحبا ابنتيهما الاثنتين بشدة على طريقتهما الخاصة. ولكن كان دائماً أسهل لهما أن يحبا مريديث بسهولة أكثر.

بعد وفاة والديهما. تركت مريديث مدرستها الرفيعة الشأن مع احتجاج أختها. لقد كانت كالفراشة النادرة تتنقل بفرح هنا وهناك.

جميع الناس احبها وكانوا يلبون طلباتها دون تردد. وكم كانت مريديث تحب تأثيرها على الغير وتسعد بنفسها. يا للمسكينة ويا لطريقة موتها المريع تحت انحدار الثلوج في

جبال الألب. يا للقساوة، يا للتناقض الرهيب لطبيعتها وحياتها المرحة واللطيفة.

تنهدت اريكا. موت شقيقتها كان مأساوياً وصعب القبول به. ولكن في النهاية استطاعت جمع شجاعتها للتعامل مع الوضع. إنها تتذكر كيف لملمت نفسها وتوجهت إلى آخر الرواق حيث غرفة شقيقتها. الغرفة التي طالما حلمت فيها أحلاماً سعيدة سوف لن تتحقق أبداً الآن.

أخذت اريكا تتذكر كيف غاصت قدماها في سجادة الغرفة البيضاء كالثلج والمفروشة باللونين الزهري والأبيض. مفروشات فرنسية مزينة بالساتان والحرير الناعم. كانت هذه الغرفة كل ما بقي من أختها التي عاشت ربع قرن وتركت وراءها فقط عطرها الفرنسي المنتشر في أنحاء غرفتها وأيضاً ذكريات عن شبابها وسعادتها وجمالها، وللأسف تركت أيضاً فضيحة مازالت اريكا تعاني من صدمتها.

كيف لها مريديث الطيبة أن تهرب مع رجل متزوج إلى أوروبا؟ إن حجز الفنادق لا يكذب وكذلك صديقها الذي دفن معها تحت الثلوج! إن الصحافة الاميركية والاوروبية كتبت عن أخبارهما دون الاهتمام بشعور الآخرين ما دامت الفضيحة تتصدر الصحف.

لمعت عينا اريكا الخضراوين. حتى الآن عندما تتذكر تلك الأمور، تشعر بالغضب يتصاعد في داخلها. الغضب من الصحافيين ومن الزوج الذي أغوى شقيقتها وصحبها معه. ان مريديث ليست سوى ضحية وليست الفاتنة الغاوية كما وصفتها الصحف.

إذن لماذا؟ أتى صوت من داخلها يسألها: «لماذا طال بك الوقت حتى تجدي الشجاعة للبحث في أوراق شقيقتك الشخصية؟ مما كنت خائفة؟ ما الذي كنت خائفة أن تجديه بين أوراقها في غرفتها! هل هو دفتر يومياتها الذي يصف حفلاتها وسهراتها؟»

«آه اريكا.» همست اسمها وهي تشعر بالتعب في الليلة الصيفية الحارة ثم أحنت رأسها وأسندته على مقود السيارة الجلدي: «ألا تتمنين لو كان موتها طبيعياً هادئاً وليس بهذا الشكل؟»

اليد التي امتدت من خلال النافذة وأمسكت بذراعها بقوة كانت يد رجل دفعها إلى الأمام حتى لا تتمكن من الالتفاف ورؤية وجهه: «حسناً يا حبيبتي لا تتحركي.»

أتى صوت الرجل وكأنه يقلد تحرياً فاشلاً وتابع: «أنا غايب لوغان رئيس حرس الجيران والحي. علينا أنا وأنت أن نتكلم معاً الآن. هل سنقوم بذلك بصعوبة أم بسهولة؟»

ابتلعت اريكا ريقها وشكرت حظها لعدم صراخها عندما شعرت بالخوف منه في البداية. وقالت: «لن نقوم بشيء مما قلت عنه.» قالتها باشمئزاز ورأسها ما يزال على المقود.

«ماذا؟» سأل لوغان مندهشاً: «أنت لست عادلة يا سيدتي ولا تقومين بما يجب عليك. من المفترض أن تكوني خائفة مني وترتجفين.»

أجابت: «آسفة لتخييب ظنك بي، ولكن عليك تقبل الفشل من وقت لآخر في هذه الحياة.» وانقلب خوفها منه إلى غضب وقالت: «لما لا تنزع يديك عن ذراعي وتذهب؟»

قال: «وإن لم أفعل!»

اجابته: «سأصرخ ليأتي الجيران إليك قبل أن تتنفس.»

زال ضغط أصابعه عن يدها وأعدلت جلستها ثم أدارت رأسها نحوه لترى وجهه الغاضب وشاربه الذي يشبه شارب الممثل الجميل توم سيليك.

قال لها: «سيدتي ألم يحذرك أحد قبلاً من التعامل بهذه الطريقة مع رجل خطر مثلي؟»

أزاحت اريكا أصابعه عن ذراعها: «سوف أتذكر ذلك عندما أقابل ذلك النوع من الرجال! أعطني فرصة.»

بدا على وجه غايب خيبة الأمل وقال: «أنا أبدو مثل دونالد داك أكثر من رجل خطير أليس كذلك؟»

«تفكيرك في محله.» أجابته وهي تحاول تشغيل السيارة حتى تستطيع اقفال النوافذ. إن السنوات التي قضتها في شركة والدها للتصدير والاستيراد قد علمتها كيف تتعامل مع جميع أنواع الرجال وفي كل المواقف وقد أعطتها الكثير من الثقة بالنفس والحكم على غيرها. لقد علمت أن غايب لوغان من الرجال الطيبين. ولكنها تضايقت من قدومه بهذا الشكل.

قال لها: «آه كلا لن أدعك تفعلين هذا.» وأخذ المفاتيح منها وهو يتابع: «كنت تلاحقينني يا سيدتي ومع اني كنت مسروراً باهتمامك بي أعتقد أن عليك أن تشرحي لي السبب.»

قالت: «أعطني المفاتيح يا سيد لوغان، إن لعبك لهذا الدور لا يناسبك.»

قال: «لا أعتقد أني أبدو مناسباً لك بأي دور قمت به. إذن ما هو الشيء الذي جذبك نحوي؟ أو أنك لصة؟»

قالت ايريكا وقد بدأت تفقد اعصابها: «لا تكن سخيفاً.»

«لا أكون سخيفاً! أنا! أنت تجلسين هنا في الظلام مثل القطة البريّة تنتظرين... وتقولين عني سخيفاً. منذ متى هربت من منزلك؟»

من الواضح أنه لن يعطيها المفاتيح لذا قالت له: «حسناً سيد لوغان لدي مسائل عملية أود مناقشتها معك.»

أجابها: «سيدتي إنك بالفعل تتمتعين بطرق غريبة لمناقشة الاعمال. لكني لن أبقى في الخارج طيلة الليل على الطريق. لماذا لا ننهي هذا الأمر بسرعة. لنبدأ من هنا، من تكونين لو سمحت؟» ما زال صوت غايب يتمتع بروح التسلية والمرح عندما سألها هذا السؤال.

قالت: «اسمي فلتشر يا سيد لوغان. اريكا فلتشر.» وحاولت أن تضع حداً لتلك المهزلة التي تمر وأن تثبت وجودها بحالة جدية.

«فلتشر؟» صرخ غايب: «هل قلت فلتشر؟»

تساءلت اريكا: ما الخطب في ذلك الرجل؟ لاحظت وجهه الذي اختفى اللون منه فجأة وعينيه اللتين صغرتا. كأنه رأى شبحاً.

قالت: «نعم فلتشر.»

قبل أن تدرك ما الذي حصل. فتح باب سيارتها وجرها من السيارة واقفة على قدميها وفي لمحة نظر كانت تقف وجهاً لوجه مع الرجل الشرس.

قال: «حتى ان لديك شبه كبير منها. وهذا واضح الآن وأنا أراك عن كثب. أين هي؟ حسناً لا تجاوبي على هذا السؤال. لو كان هناك من عدل في هذه الدنيا لا بد وأن تكون في الجحيم.»

قالت: «اتركني.» محاولة أن تستعيد أنفاسها.

أجاب: «كلا يا سيدتي ليس قبل أن أحصل على بضعة أجوبة.» شدّت أصابعه الفولاذية على ذراعها بقساوة وتابع: «علينا الدخول الآن إلى المنزل وتبادل بعض الأحاديث.» كان صوته ناعماً مثل المخمل فوق الثلج وشعرت اريكا بذلك. وبدون أن يتكلم بكلمة أخرى قادها أمامه إلى مدخل البيت. غاص كعب حذائها في التربة الخصبة كلما خطت خطوة وتعثرت وهي تدخل من الباب الفرنسي إلى المنزل.

بقي ممسكاً ذراعها الأيسر وضاغطاً عليه، ثم دفعها إلى الكنبة الجلدية بدون رفق.

قالت: «هل أنت مجنون!» وهي ترجع خصلة شقراء عن وجهها، إنها لم تعامل في حياتها كلها وعمرها البالغ الثمانية والعشرون معاملة مثل هذه من قبل: «لا يوجد سبب لكل هذا الغضب.»

أجاب: «أنت مخطئة. إنه منزلي الذي كنت تراقبينه أكثر من أسبوع. ابقي مكانك.» عندما حاولت اريكا النهوض: «علي أن أطل على الطفلة. هل أثق بـ فلتشر أن تبقى جامدة لدقيقة أو علي أن أجرك معي إلى الغرفة؟»

الطفلة! أخذت اريكا نفساً عميقاً. لم تكن خائفة منه. لو كان رجلاً لطيفاً معها في البداية وتغير الآن هذا يعني أنه رجل متغطرس وقاسي وهو الآن يظهر تصرفات مخيفة. لكنها سترى الطفلة الآن وبدون أن يخيفها غايب لوغان. قالت: «سوف أبقى مكاني هنا.» وحاولت ان تتجنب نظراته.

قال: «اختيار حسن.» وبينما كانت تظنه خرج من الغرفة

وبدأت تحسن من جلستها أتاها صوته: «ألن تطلبي مني أن تريها؟»

إذن إنه يعلم لما هي هنا. إنه ليس غليظ الذهن كما اعتبرته، قررت أن تلعب دور البلهاء فقالت: «أرى من؟»

صرخ قائلاً: «من! من تظنين يا سيدة فلتشر؟» قالها بسخرية: «أنا أعني ماندي طبعاً. أماندا لوغان عمرها ثلاثة شهور ابنة مريديث فلتشر والمرحوم غاري لوغان. لهذا السبب أنت هنا أليس كذلك؟ لتري ماندي؟»

«كلا يا سيد لوغان.» جاوبت اريكا بعناد وهي تحسن من تنورتها فوق ركبتها. لقد حان الوقت كي تكف عن الألاعيب. وتابعت: «إني لست هنا لأرى ابنة شقيقتي. إني هنا حتى آخذها معي إلى البيت... إلى فيلادلفيا.»

قال بغضب: «آه نعم؟ أنت ومن معك؟» وعندما لم تجاوبه استدار وخرج من الغرفة وكلماته ما زالت تتردد على مسمعها في انحاء الغرفة. أخذت تحاول تحسين جلستها على الكنبة الرديئة وكم ندمت لعدم جلبها حقيبتها اليدوية من السيارة. ولكنها نسيت الموضوع. أمامها شيء أهم وأصعب وربما مستحيل.

أخذت تراقب الغرفة ومحتوياتها علها تعرف شيئاً عن شخصية ذاك الرجل وذوقه حتى تعرف التعامل معه. كانت جالسة في غرفة الجلوس وهناك مرآة كبيرة في وسط الغرفة وليس من ذوق رفيع في الأثاث.

لا بد وأنه مثقف. لقد رأت مكتبة كبيرة تحتوي على عدد كبير من الكتب الفنية والتاريخية المختلفة. وهي تعلو من الأرض إلى السقف. كما هناك جهاز موسيقى يحتل الحائط

الآخر. لاحظت وجود مقعد زهري للأطفال في وسط الغرفة وغطاء قطني صغير وزجاجة حليب فارغة. إن رائحة الغرفة خليطاً من بودرة الأطفال والسردين. خليط غريب. هزت اريكا أنفها باشمئزاز وقرف.

عاد غايب إلى الغرفة ولاحظ شرودها ونظراتها في انحاء الغرفة. فقال: «ليست كما اعتقدتها بالضبط أليس كذلك؟» أزاح كدسة مجلات موضوعة منذ أسبوع عن الكنبة وجلس في مواجهتها. لم تكن الطفلة معه. أرادت سؤاله عنها ثم غيرت فكرها.

قال لها: «لقد قلت فيلادلفيا أليس كذلك؟ لا أتصور تقصدين المدينة الداخلية. إن ماندي بخير بما أنك سألت عنها.»

قالت: «أنا لم آتي إلى هنا لنتبادل الاهانات يا سيد لوغان.» وحاولت أن تبدو هادئة مع انها كانت خائبة الظن لأنه لم يحضر معه الطفلة إلى غرفة الجلوس.

قال: «في الحقيقة كدت أن تخدعيني.»

أجابته: «لم أكن أقصد ذلك.»

جلست مستقيمة بقدر ما استطاعت على تلك الكنبة ولم تستطع الصمت: «أنا اقترح أن ندخل في الموضوع على الفور. لقد قلت ان أخيك غاري قد توفي. مريديث أيضاً... قد توفيت.»

أجابها بدون اكتراث: «هل حقاً ماتت؟»

تابع وهو متكىء على كومة المجلات والصحف القديمة. وأصابعه ممسكة بركبته المرتفعة: «اعذريني إن لم أبدو حزيناً على أختك.»

رغبت اريكا بصفعه على وجهه، لكنها تراجعت عن الفكرة وقالت: «أختي الوحيدة قد ماتت. ربما لم تكن تحب مريديث يا سيد لوغان وقد أظهرت ذلك بوضوح لي. ولكن عليك على الأقل احترام ذكرى الموتى.»

قال: «هل هذا واجب. حسناً لا تغضبي يا سيدتي. ان شقيقتك قد خدعت أخي وجعلته يطاردها بمرح ويحبها بإخلاص، ثم وضعت ماندي في حضنه واختفت تاركة وراءها رسالة تعبر عن ذكرياتهما الجميلة معاً وأن لا مستقبل لهما معاً. خرج غاري كالمجنون وأعصابه منهارة ثم صدم سيارته بشجرة. هل حصل لك أن أمضيت ثلاثة أيام كاملة تراقبين أخيك الوحيد يموت؟ لا تخبريني عن أختك الغالية!»

صرخت اريكا في نفسها بصمت، آه مريديث يا للأذية التي خلفتها وراءك.

قالت: «أنا لم أكن أعلم. لقد كنت في اوروبا ثم ذهبت إلى الشرق الأقصى للعمل لمدة ثمانية أشهر، عندما أعلموني بموت مريديث لم أكن على علم بأنها على ارتباط مع أحد. إني وجدت وثيقة الولادة فقط عندما فتشت في أوراقها الشخصية الاسبوع الماضي.»

سألها بسخرية: «وتعتقدين ان كل شيء يسير على أكمل وجه؟ أتعلمين، لقد نظرت إليها مرة واحدة وعلمت من تكون. ولكن غاري المسكين المغفل كان مبهوراً بجمالها ووجهها الجميل الكذب حتى أنه لم يستمع الى ما كنت اقوله له. كلا، لقد ذهب إلى فيلادلفيا تاركاً اصحابه وعمله ثم عاد إلى منزله منهزماً وطفلته على يده.»

كان حديثهما يسير من سيء إلى أسوأ كلما فتح موضوع ومعلومات جديدة عن مريديث وتصرفاتها ولكن اريكا كانت تعلم تماماً ما كانت عليه أختها لذا سألته قائلة: «كم كان عمر ماندي عندما هربت مريديث وتركتها؟»

قال: «ثلاثة أيام. لقد تركتها لوحدها في المستشفى. يا له من شعور أمومة لديها، ها.»

ثلاثة أيام! يا للطفلة المسكينة. تركتها لوحدها هكذا! إنها تماماً تصرفات مريديث الطفولية. لقد كانت طفلة بحد ذاتها ومن الصعب أن تربي طفلة. لماذا لم تأتِ لتستنجد بي؟ كانت اريكا تعلم بأن مريديث لم تلجأ إليها ولم تستأمنها سرها منذ مدة. لقد كانتا مختلفتين في افكارهما وتصرفاتهما اختلاف الليل والنهار. لم تكونا متفقتين.

قال غايب: «إن الماضي ذهب مع الماضي وماندي لوغان هي الحاضر.»

أجابت: «على العكس سيد لوغان. أماندا فلتشر هي الحاضر.» اوقفت تفكيرها بأختها مريديث وركزت على ابنة أختها: «مع أنها مسجلة بأنها ابنة غاري لوغان وهو والدها الشرعي على شهادة الولادة لكن أماندا هي ولحدة من عائلة فلتشر في فيلادلفيا من شركة تصدير اف دبليو.»

أرجع غايب ظهره إلى الوراء وما زالت يديه متشابكتين حول ركبته وجسمه الطويل يغطي كومة الصحف المتكىء عليها: «آه نعم. لقد تذكرت الشركة القديمة أف دبليو المشهورة. ولا بد أنك أصبحت الآن المديرة الوحيدة لأعمال العائلة. هل علي أن أكون شاكراً لك.»

وقفت اريكا على قدميها بعصبية. كيف له أن يهينها؟ ان هذه الشركة هي كل حياتها. بكلماته المستهزئة هذه جعل حياتها وكل ما تملك. وحتى عملها العظيم يبدو كأنه وسخاً: «أتعلم شيئاً سيد لوغان؟ أنت أصبحت لا تطاق وكأنك...»

قاطعها: «سيدة فلتشر.» جلس مستقيماً رافعاً حاجبيه متعجباً ومندهشاً. وتابع: «لم أكن أعلم أنهم يتكلمون هكذا في المجتمعات الراقية. لا بد وأن يطرودك من مجتمعك المخملي لو سمعوك تتفوهين بتلك الكلمات كما سأطردك أنا الآن...» ثم وقف وبدا كالنسر فوقها.

قالت له: «ولكننا لم ننتهِ من مناقشتنا بعد يا سيد لوغان.» قالت ذلك وهي محتجة على تسرعه حتى وهي تتراجع إلى الباب الرئيسي. لم يكن عليها السماح لنفسها بفقدان أعصابها. إنها لم تنجح بعملها لولا سيطرتها على أعصابها وكونها هادئة في مفاوضاتها لذا قالت له: «إنك حتى لم تستمع إلى عرضي.»

توقف غايب في مكانه وعيناه الزرقاوان تلمعان: «عرض؟ أي عرض؟»

قالت: «عرضي بأخذ أماندا منك بالطبع. كن منطقياً سيد لوغان أنت رجل أعزب. من البديهي طفلة صغيرة ستعرقل حياتك بدون أن تذكر مصادرك المالية. أرأيت... لقد درست وضعك تماماً. إن على أماندا أن تترعرع في بيت والدتها الثري والمريح وأن تأخذ حصتها من شركة والدتها أيضاً، إن ابنة مريديث تستحق الفرص وحسنات عائلة فلتشر. أنت تستطيع تحديد الثمن الذي تراه مناسباً.»

عندما لم ينطق غايب بكلمة. اقتربت اريكا من الباب قائلة: «اعذرني سوف أذهب إلى سيارتي لجلب دفتر الشيكات. أنا متأكدة بأننا سننهي الموضوع بما يرضي الجميع. سوف أدع أماندا هنا لبقية الليل وتستطيع أن تودعها عند الصباح.»

نظرت إليه لترى ردة فعله. وعلى الفور علمت أنها فشلت في ما كانت تسعى لتحصل عليه. لقد كان عرضها ناشفاً وقصيراً.

استدارت إلى الباب آملة أن دفتر شيكاتها سوف يغير من موقفه سوف تدفع المبلغ الذي يطلبه، لن تساومه مطلقاً عليها أن تحصل على أماندا!

وقف جامداً مصدوماً من برودتها بالتعامل.

انها امرأة أعمال وها هي تقوم بهذا الدور معه بدون مشاعر ولا احساس وكأنها صفقة عمل لا غير. تبخرت الصدمة من رأسه وعاد مكانها الشعور بالغضب والاستياء منها.

غضب عميق... كانت اريكا على وشك متابعة حديثها حين هب واقفاً وأمسك بذراعها بشدة قائلاً: «لا تزعجي نفسك أكثر. ان اماندا ليست للبيع.»

عم السكون في الغرفة بينما وقفا يتبادلان النظرات. كانت ذراعها تؤلمها من شدة قبضته وقلبها يخفق بسرعة. كل ما فعلته وقامت به ذهب مع الريح، لقد ظنته رجلاً آخر وحكمت عليه خطأ.

عدت للعشرة وانتظرت قبل أن تباشر كلامها ثم قالت: «سيد لوغان، إني لن أذهب إلى بيتي إلا وأماندا معي.»

قال: «أنت انسانة باردة هذا ما سأعطيك إياه.»

بسخرية سحب يده عنها مدركاً بأنه قد اذاها وقال: «إنك ممثلة بارعة وتلعبين دورك بمهارة.»

أدار رأسه إلى جانب واحد وأخذ يستمع بينما اريكا لم تكن تسمع شيئاً: «آه، ها هي مجدداً تبكي. انها غير معتادة على سماع الأصوات في الليل. ابقي هنا ولا تتحركي.»

عندما خرج غايب. عادت اريكا وجلست على الكنبة الناعمة وتنفست الصعداء، من الواضح أنها قللت من تقديرها لهذا الرجل. من الواضح أنه متعلق بالطفلة ويضحي من أجلها. لكن اريكا تعودت على تلك المواقف وتعلم تماماً التعامل معها.

إن لكل رجل ثمنه. عليها أن تعيد برمجة أفكارها وتصرفاتها، عليها أن تلعب لعبته وعلى طريقته. النهاية هي الأهم وسوف تكون أماندا من نصيبها. نظرت إلى المرآة الكبيرة وعلت وجهها ابتسامة ساخرة.

عاد وقال لها: «آسف.» وجلس على الصحف القديمة مرة أخرى: «الآن قولي لي دور من الآن ليهين الآخر؟ لقد أضعت الحساب.»

تجاهلت اريكا سؤاله: «هل استلمت أماندا منذ وفاة شقيقك؟» اومأ برأسه موافقاً.

قالت: «هل تهتم بها لوحدك دون مساعدة أحد؟»

ابتسم غايب: «ماذا أقول؟ أضعت رقم هاتف المربية؟»

أجابت باستهزاء وعصبية: «وسمحت لنفسك أن تنسى بأن مريديث فلتشر صاحبة شركة اف دبليو للتصدير والاستيراد تكون والدة أماندا كما ادعيت عدم علمك بوفاة

مريديث؟ سوف تعذرني لو قلت لك انه صعب علي تصديق كلامك بما أن صور مريديث كانت على غلاف معظم المجلات والصحف عندما توفيت. إن أماندا وريثة والدتها الشرعية لثروة طائلة.»

إن السؤال الذي يطرح نفسه هو، لماذا انتظرها لتأتي إليه؟ معظم الرجال في وضعه لكانوا اقتحموا بابها للتعريف عن أنفسهم عندما يعلمون بمنجم الذهب الذي تركته وراءها مريديث. كما أنه فنان ومعظم الفنانون لا يجنون أموالاً إلا بعدما يموتون. وهذا ما تتمناه لغايب لوغان إن لم يتوقف عن ازعاجها ومضايقتها.

بدت لهجة غايب عصبية بعدما توقف عن الهزل والاستهزاء. قال: «بالطبع أعلم من تكون مريديث. لقد كررت على مسمعنا أصلها وفصلها عدة مرات وكانت جداً فخورة بأصدقائها وعائلتها.»

ابتسمت اريكا مرتاحة: «إذن أنت تعترف بأن مريديث كانت ثرية وأنت تعلم بأمرها.»

صفع غايب جبهته براحة يده قائلاً: «آه، يا للوغان المغفل حقيقة، ان السيدة تود أن تعلم إن كنت نكياً بما فيه الكفاية لندرك أن أماندا تستطيع أن تبيعك وتشتريك أربعين مرة بمالها. ربما يجب أن أشتري لها دبوساً ذهبياً من أربعة عشر قيراط لحفاضاتها.»

قالت اريكا: «أنت تبالغ من جديد يا سيد لوغان.» ورفعت رأسها بكبرياء.

استدار غايب ورماها بنظرة ناقدة بعينين ضيقتين. ثم قال لها: «قولي لي يا سيدة فلتشر، عندما تجرحين إصبعك

هل تنزفين دماً أخضر؟» وأخذ يروح ويجيء في الغرفة غير قادر على الجلوس.

قالت: «لا أدري لما أنت كثير الحساسية يا سيد لوغان.»

ثم تابعت كلامها وهي عالمة بأنها أصابت هدفها: «لقد كنت فقط ألمح بأنه من الصعب عدم معرفتك بموت مريديث، ليس إلا.»

توقف غايب عن الحركة واستدار ليواجهها: «من الطبيعي أنك ستتفاجئين بكلامي. إن الرجل الذي يدفن أخيه ثم يرعى طفلته اليتيمة لا يجد وقتاً كافياً للاهتمام بقراءة الصحف والأخبار عن حوادث التزلج والثلوج.»

«طبعاً نعم.» وافقت اريكا فجأة خجلة من نفسها ومتأسفة لوضع غايب لوغان.

ثم تابع غايب كلامه: «ماذا فعلت مريديث العزيزة على أية حال، هل هربت مع رجل متزوج؟»

لم ترد عليه اريكا هذه المرة بل نظرت إليه نظرة فاحصة. بدون شك إنه رجل جميل ولكن هل هو صادقاً معها؟ هل من الممكن رجل في الثلاثين من عمره مستعد على التخلي عن عشرين سنة من مستقبله لتربية ابنة أخيه؟

«حسناً سيد لوغان سوف ندع موضوع المال على الهامش للوقت الحالي. لكن ماذا عن المسؤولية؟ ألن تعيق أماندا حياتك العاطفية والاجتماعية وارتباطاتك العملية؟»

لم يصدق غايب اهتمامها بحياته العاطفية. لذا قال: «أنا رجل معتدل سيدة فلتشر بجانب انك لن تصدقي عدد الفتيات الجميلات والحسناوات اللواتي يأتين لمساعدتي بأماندا. يبدو أن رجلاً أعزب مع طفلة جميلة يجلب مظهرنا

الرومانسي النادر هذه الأيام اهتمام النساء والفتيات أيضاً. هل لديك سؤال آخر؟» ورفع حاجبيه بسخرية بادية.

لكنها تابعت: «وماذا عن عملك؟... بالتأكيد الاهتمام بالطفلة يأخذ منك الوقت الطويل؟»

أجاب: «أنا أعمل في المنزل. لذا برنامج عملي يخصني وحدي. الآن أهناك من أسئلة أخرى؟»

«أسئلة أخرى؟»

فأعلمها غايب بلهجة لا تخلو من القساوة: «الرجوع إلى موضوع المال والمادة الذي طرحته سابقاً. ودفتر الشيكات الذي تريدين أن تريني إياه. أرجو أن نكون قد انتهينا من الموضوع.»

الفصل الثاني

وضعت اريكا راحة يدها على جبينها، لقد كانت مصابة بألم في الرأس. ان الرجل الذي امامها لا يقوم بدوره كما فكرت به. لقد تعاملت مع انواع عديدة من الرجال لمدة ثماني سنوات لكنها اول مرة تجد نفسها امام صنف منهم غير البقية، من المفترض ان تساومه وان يأخذ الموضوع بعض الأخذ والرد واللف والدوران وفي النهاية تربح كعادتها. لكن معه كل شيء كان عكس ما توقعته. كان مستمراً معها لجذبها لنهاية الحديث ووصايته على ابنة مريديث وحقه في حضانتها.

قالت: «حسناً سيد لوغان. لقد عبّرت عن رأيك بكل صراحة ووضوح، سوف نلعب اللعبة على طريقتك انت.»

رد عليها قائلاً: «هذا تصرف شهم منك. حسناً لننهي الموضوع، ان امانداً هي ابنة شقيقي.»

ردت بسرعة: «وابنة شقيقتي أيضاً.»

تابع: «ارجو ان تعذريني لما سأقول. بينما كان شقيقي ينازع متمدداً على سرير الموت الذي اعدته شقيقتك له لقد طلب مني ان أرعى ابنته.»

أجابت: «أنا متأكدة بان شقيقتي لكانت طلبت مني نفس الطلب لو تسنى لها الوقت لتقوم بذلك.» واخذت تتساءل، هل شقيقتها فكرت بها وهي تواجه الموت؟ بالطبع كلا، انها تعرفها جيداً.

اجاب: «حقاً يا سيدة فلتشر لو تتذكرين ان شقيقتك قد تنازلت عن الطفلة كتابياً وهي تعلم بأي مصير مجهول سيكون مصيرها. ان عائلة فلتشر قد اضاعت جميع حقوقها عندما تخلت مريديث عن طفلتها وتركت البلدة، وأنا متأكد من انك تتذكرين ذلك. القانون في صفنا تسعة على عشرة.»

«إذن سوف تربي امانداً لأنه واجب من واجباتك؟ وعد قد قطعته على شقيقك المحتضر... من المؤكد ان شقيقك لا يريدك ان ترمي بحياتك هكذا وتضحي بهذا الشكل، خصوصاً الآن وقد حضرت ومستعدة لأخذ امانداً منك لتصبح تحت رعايتي.»

فكر، من أين أتت هذه السيدة ومن تكون لتكلمه عن التضحية. فقال لها: «أنت لم تستوعبي بعد يا سيدتي. ان ماندي ابنة شقيقي، وهي كل ما تبقى لي منه. أنا أحبها وسوف احتفظ بها، هذه نهاية النقاش.»

قالت: «وهي أيضاً كل ما تبقى لي من شقيقتي كما تعلم.»

كانت اريكا تفكر في كل كلمة قبل التفوه بها.

اجابها: «نعم اعلم، لكنها مئة بالمئة تشبه عائلة لوغان وهذا من اجله اشكر حظي عليه.»

سيطرت اريكا على اعصابها، انه يحاول إثارة عصبيتها بكل كلمة يتفوه بها، لذا قالت: «الحقيقة تبقى ان امانداً من عائلة فلتشر ولن تحرم الطفلة حصتها من الميراث.»

قال: «إذن إتركي لها حصة للتعليم، أما باقي المصروف أنا سأتكفل به.»

اجابت: «لماذا أنت عنيد لهذه الدرجة؟» نهضت على قدميها وتابعت: «هل ستقف هناك وتقول لي بأن امانداً وضعها أفضل في العيش والتربية معك هنا؟»

أجاب: «في الحقيقة ان تربية ماندي على الطرقات افضل من العيش معك، لقد عرفت مريديث، وكيف هي انسانة انانية ولن ادعك تحطمين ماندي برعايتك لها، هناك المحكمة وهي ستصدر قرارها لو لجأنا اليها.»

اجابت: «ومن قال اي شيء عن المحكمة، لا أرى داع يا سيد لوغان من إثارة الموضوع في المحاكم بتاتاً.»

أدرك عندها غايب انه اثار نقطة حساسة بالصدفة، فتابع حديثه: «ما القضية سيدة فلتشر؟ ان فكرة إثارة الموضوع امام القضاة وكيف مريديث قد تخلت عن طفلتها، قد اربكتك. هيا ما الضرر من بعض الشائعات؟ عائلة فلتشر تستطيع تحمل الأمر، مع اني اتخيل انك معتادة على ان تقرئي اسمك في المجلات والصحف عن حياتك الاجتماعية والمالية.»

«أيها الوغد.»

اجاب: «الإهانة لن تفيدك ولن توصلك لشيء.»

قالت: «كيف تدعي حب امانداً وفي الوقت نفسه تعرضها لفضيحة؟»

اجاب: «ماندي طفلة صغيرة يا سيدة فلتشر، اي فضيحة مهما كانت سوف تختفي قبل ان تكبر وتعرف بالأمر. اما بالنسبة لعرض الأمر امام القضاة. سوف اقوم بذلك ان كان لازماً للإحتفاظ بالطفلة معي.»

«أنت انسان حقير.» قالت ذلك غير آبهة بالسيطرة على غضبها واعصابها.

قال: «لست حقيراً كما تتهمينني، ولكن عليّ ان اتصرف هكذا لإبقاء ماندي معي والحفاظ عليها من المحتالين.»

قالت: «أنا محتالة؟»

اجابها: «مع شهادة تقدير...»

كانت اريكا قد تعلمت فن المحادثة والنقاش وتعلم متى تتقدم ومتى تتراجع. لذا، ذهبت باتجاه باب المدخل الفرنسي ثم استدارت إلى الرجل الغاضب وحذرته قائلة: «ربما قد ربحت المعركة الأولى سيد لوغان لكنك لم تربح الحرب، سوف اعود غداً عند الحادية عشر لنتابع الحديث والنقاش، ربما عندها سيكون لديك شيئاً افضل لتقدمه بدلاً من الاهانات والملاحظات والنكات.»

قال: «والتهديدات سيدة فلتشر لا تنسي ذلك، هل احضر لك العشاء سيدتي؟» ناداها غايب: «اني لست متأكداً مما سأقدمه لك، لكن بالتأكيد سيكون طعاماً لا يستعمل به السكاكين فأنا لست مغفلاً.»

شعر غايب براحة عندما اغلقت اريكا الباب وراءها وخرجت. اقفل النوافذ الزجاجية بعصبية ثم شد على اسنانه بصمت.

يا لها من وقحة. ان تلك المرأة تنظر إلى ماندي وكأنها من ممتلكاتها وممتلكات عائلة فلتشر. لن يسلم طفلة بريئة إلى عائلة باردة العواطف كعائلتها. سوف يحمي ماندي حتى آخر يوم في حياته.

ذهب إلى باب المدخل وأقفله، ثم وقف وراقب اريكا وهي تدير سيارتها وترحل بعيداً عن منزله. عندها استدار ودخل بصمت وحذر إلى الغرفة المظلمة التي تنام فيها ماندي.

الضوء الصغير على شكل البطة كان يضيء الغرفة ويظهر الجدران الزهرية اللون ويبدي تقاسيم وجه ماندي الجميلة الكاملة. لقد اضاعت مصاصتها مرة أخرى وضعت ابهامها في فمها عوضاً عنها تمص ابهامها الصغير بغضب وتكشيرة بين عينيها. انحنى امام مهدها الصغير بصمت محدّقاً بطفلته الغالية التي اصبحت عالمه وسبب بقائه على الحياة.

ان مجيء اريكا الليلة كان صدمة كبيرة له. لقد مرت ثلاثة شهور وهو يرعاها دون ان يسمع كلمة من احد يطالب بها. بدأ يعتقد ان لا احد سيطلب رعايتها والوصاية عليها أو سؤاله عن تربيته لابنة غاري. كما انه بدأ يكره كل ما يتعلق بعائلة فلتشر ويرجو عدم رؤية احد منهم. لقد ذهبت الآن ولكنها ستعود حتماً كطلوع الشمس صباحاً مثل استيقاظ ماندي ومطالبتها برضاعة الحليب، ان هذا النوع من النساء لا يتراجع بسهولة، وتمنى لو شقيقتها كانت تتمتع بنصف قوتها وربع ذكائها وتصميمها، لما كانت ماندي فقدت والديها.

قال: «لكنها لم تكن كذلك يا ماندي يا طفلتي.» ومد يده من خلال قضبان المهد يلامس وجهها باصبعه الملطخ بالحبر، الفرق بينهما كان يدهشه كلما نظر إلى ماندي.

لقد كانت عديمة الشأن دون مساعدة انها تعتمد عليه بكل شيء، لا تهتم إلا بنفسها ولا احد يهتم بها سواه، لن يعتبر خالتها اريكا موجودة لانها سترحل حتماً ولن يطول بقاءها، ان الطفلة له... تلك الصغيرة الحبيبة. لا يوجد مال في العالم

كله يغير هذا المفهوم وهمس للطفلة: «فلا داع لتقلقي عمك غايب سوف يهتم بك ويحميك من شر عائلة فلتشر بطريقة أو بأخرى.»

* * *

كانت اريكا تضغط على جرس الباب باستمرار قائلة: «لقد قلت له بأنني سأحضر عند الحادية عشر ظهراً.» نظرت إلى ساعة يدها الصغيرة حتى تتأكد من انها لم تبكر في المجيء. كلا انها الحادية عشر وخمس دقائق. الرجل ليس هنا أو انه مختبىء في مكان ما أو يقف وراء الستائر خائفاً من مواجهتي، ولكن لماذا عليه ان يختبىء ليس هناك من شيء يخاف منه، كانت ترغب في مقابلته لتنهي الموضوع وتغلق تلك الحقبة من حياتها بسرعة بقدر ما أمكن.

لم تكن ترغب اريكا بالقبول بالهزيمة. وترك الموضوع بين يدي محاميها. تمشت إلى خلف المنزل وعندما استدارت عند الزاوية لمحت لوغان متمدداً على الحشيش الأخضر يلاعب طفلته الموضوعة على الغطاء المفروش امامه.

كان يسأل مداعباً الطفلة: «بطن من هذه؟ سوف آكل هذه البطن السمينة، ها أنا قادم ماندي لقد حصلت عليك.»

عندما اقتربت اريكا اكثر رأت الطفلة بوضوح وهي تضحك وتتجاوب مع عمها تجريك يديها الصغيرتين ورجليها فرحة.

شعرت اريكا فجأة بالوحدة تلفها، ان غايب قد خسر

شقيقه لكن لديه ماندي على الأقل، اما اريكا فلم يكن لديها احداً مطلقاً. فكرت بحزن، ان اسهم البورصة جيدة لكنك لا تستطيع ان تعانقها ولا هي تستطيع ان تعانقك. اقتربت اريكا على رؤوس اصابعها ونظرت إلى ماندي لأول مرة عن كثب.

ان الطفلة لديها شعر كثيف داكن اللون يشبه شعر عمها ووجهها الزهري اللون يدل على صحتها الجيدة. لم تكن ترتدي سوى حفاضها ومع هذا تبدو جميلة. شعرت اريكا بشعور غريب يمتلكها وهي تزيل دمعة انهمرت من عينيها بسرعة. قالت: «أنت مخطىء ان لديها عينا والدتها مريديث الزرقاوين اللون.»

وقف غايب بسرعة عندما سمعها وخافت ماندي التي كانت بين يديه وبدأت بالبكاء فجأة، فقال لها: «الآن انظري ماذا فعلت.» واخذ يربت على رأس الطفلة وظهرها لتهدأ.

شعرت اريكا بالحسد والغيرة عندما رأت الطفلة ترتاح بين يدي عمها. وقالت: «أرى انك قد نسيت موعدنا اليوم.» واخذت تتفحصه بنظراتها من كتفيه وصدره إلى قدميه العارتين. ثم تابعت: «أو انك كنت مشغولاً باللعب مع ماندي ونسيت موعدنا.»

حدّق بها غايب قائلاً: «غاري وأنا لدينا عيون زرقاء اللون ولم انس الوقت والموعد. فقط فكرت انك ذكية كفاية وسوف تستسلمين... لم أدر انك ستدقين رأسك بجدار مرة أخرى بعدما آلمك أول مرة.»

قالت: «وماذا يعني ذلك؟» محاولة عدم ملاحظة اصابع

امانداً الصغيرة على صدر عمها تلاعب شعيراته الصغيرة.

قال: «يعني ان لا شيء تغير، حقيقة. اعتقدت انك فهمت البارحة قصدي وان ماندي في يد أمينة.»

نظرت اريكا إلى يديه الضخمتين الجميلتي الشكل واللتين تضمان الطفلة بحنان على صدره وتساءلت ان كانت هي أيضاً ستشعر بالسعادة لو كانت هي تضع رأسها على صدره بين ذراعيه، هزت رأسها وكأنها تتخلص من تلك الأفكار المشتتة وقالت: «هل حقيقة اعتقدت بأنني ساغادر الليلة الماضية دون أن أرى امانداً؟»

«كما اعتقد، أنت لم تكوني مهتمة لرؤيتها البارحة.» ثم نهض وقال: «حسناً ها هي، خذيها.» وقدم الطفلة اليها: «قولي مرحباً لخالتك بينما احضر شراباً بارداً لنشربه.»

مدت ذراعيها اريكا واحتضنت الطفلة التي اعطتها شعوراً بالدفء. لقد كانت متشوقة لتلك اللحظة لكن الآن وقد حصلت عليها لم يكن لديها ادنى فكرة بالتصرف معها. صرخت: «انتظر.» بينما ذهب غايب إلى باب المنزل الخلفي. استدار وقال: «لا تقلقي انها لا تعض... على الأقل ليس الآن.»

اجابته: «لست قلقة على نفسي يا أحمق. ماذا عن امانداً؟ رأسها...؟»

تابعت اريكا بخوف: «ماذا افعل برأسها؟ كيف لحملها؟»

اجاب: «قبلي رأسها. يا للهول وتطالبين برعايتها؟»

قالت: «ولكني سأستأجر مربية.» لكنه لم يسمعها كان قد دخل إلى المطبخ واغلق الباب وراءه.

وجدت اصابع امانداً بيتاً تلعب به في فم خالتها. حاولت اريكا ان ملاعب الطفلة ولكن خوفها مازال يسيطر عليها. شعرت الطفلة بارتباك الشخص الذي يحملها فبدأت بالبكاء.

همست لها اريكا: «لا تبك امانداً ارجوك لا تبك هنا. سوف اضعك على الأرض ونلعب حتى يجيء عمك. فقط ارجوك لا تدعيه يسمعك تبكين.»

وضعت الطفلة بكل الاهتمام والحذر الذي تستعمله عندما تحمل قطعة صينية قديمة على الطاولة. توقفت امانداً عن البكاء بعدما شعرت بأنها اصبحت بأمان بعدما كانت بين يدين ترتجف بينهما. ارتاحت اريكا واستطاعت ان تراقب الطفلة عن قرب وتحبها بعمق تام.

«انظري إلى نفسك.» قالتها بنعومة ومحبة والدموع تملأ عينيها بينما كانت تمسك بقدمها الصغيرة بين اصابعها: «يجب ان ترتدي فساتين الأورغنزا البيضاء الجميلة، لا ان تكوني عارية هكذا. وأنا متأكدة بأن ستكونين رائعة باللون الزهري ايضاً.» واخذت تضحك من فرحها وكأن امانداً تستمع لما تقوله: «سوف تحبين ذلك أليس كذلك؟ علينا احضار خزانة جديدة لك ونملأها بالملابس عندما نعود إلى المنزل.»

بينما كانت تتكلم اريكا كانت يداها تلامسان جسم الطفلة الناعم والكامل.

قالت لنفسها: «انظري اليها... انظري كيف تحدق بي وكأنها تحدد ان كنت صديقة أم عدوة، وتتفحص لترى إن كان لوغان في الجوار أم لا. اخذت اريكا تقلد غايب في

مداعبتها وملاعبتها للطفلة. فرحت الطفلة بمداعبتها واخذت تضحك.

شعرت اريكا بسعادة لا توصف اكثر من فرحها بالصفقات العملية التي قامت بها واخذت تعيد وتعيد مداعبتها للطفلة التي تضحك.

هكذا رآها غايب عندما عاد والصينية بين يديه عليها كوبين من عصير الليمون ورضاعة الحليب. همس لنفسه قائلاً: «ان المرأة تبدو انسانية وعطوفة.»

كانت اريكا قد تنازلت عن ارستقراطيتها المعهودة وجلست كبقية النساء العاديات المملوءات بشعور الأمومة والحنان تداعب وتلاعب ابنة اختها دون ان تلاحظ قدوم غايب. لكن فجأة وبدون انذار بدأت الطفلة بالبكاء مطالبة برضاعتها كان وقت غدائها. قالت لها: «آه يا حبيبتي ما الخطب؟ لماذا تبكين هل آذيتك؟ ارجوك حبيبتي لا تبكي لو سمعك عمك سيلومني قطعاً.»

اجابها غايب: «كلا لن الومك.» ثم سلمها زجاجة الحليب: «انه وقت رضاعتها المعتادة، لماذا لا تهتمي باطعامها بينما ادخل المطبخ واعد لنا بعض الشطائر.»

نظرت اريكا إلى الرضاعة كأنها وحش سيهاجمها. سألته مندهشة: «اطعمها؟» نعم انها احبت الطفلة ولكنها لا تدري كيف تطعمها.

لم يستطع غايب منع نفسه من الضحك وهو يقول: «نعم اطعميها أم انك اعتقدت اننا لا نفعل شيئاً للأطفال سوى اللعب.» ثم نهض مجدداً وعاد إلى المنزل.

قالت: «استطيع ان اكره هذا الرجل بسهولة.» وصممت

على الجلوس على العشب دون القيام بشيء مما قاله، لكن امانداً بدأت بالبكاء والصراخ فما كان عليها إلا اطعامها. لم تكن اريكا حمقاء لهذه الدرجة، علمت ما عليها القيام به بسهولة، حملت امانداً بين ذراعيها ووضعت زجاجة الرضاعة امام فمها.

السلام الذي حدث كان كالاعجوبة، الطفلة الجائعة شربت الحليب بهدوء ونهم كأنها في مجاعة. من المؤكد انه يجب ان تتدشأ بعد رضاعتها بعشر دقائق. رفعت الطفلة على كتفها وربتت على ظهرها بنعومة ثم تدشأت الطفلة وأخرجت بعض الحليب من فمها الصغير على ظهر خالتها ووسخت فستانها الباهظ الثمن.

«آه امانداً، كيف فعلت ذلك؟» هذا كل ما قالته اريكا. اعادت الزجاجة لها واكملت الطفلة رضعتها بنهم، قالت لها اريكا: «لقد صح كلام عمك. انك نهمة مثل عائلة لوغان. عليك ان تتعلمي آداب المائدة وهذا ما سافعله عندما آخذك معي.»

كان غايب يراقب ما يجري من نافذة المطبخ ويتوقع ان تتصرف ماندي كما عهدها. ولكنه خاب امله باريكا لم يتوقع ان تكون هادئة وصبورة مع الأطفال كما رآها. لقد ظن انها ستصرخ وتغضب الآن وانه سيبقى وصياً على الطفلة.

انها تتصرف عكس ما توقع ليلة أمس، عليه ان يأخذ الطفلة منها قبل ان تقوم بشيء اكبر مما قامت به إلى الآن.

بعد مرور ساعة من الزمن كانت امانداً في غرفتها نائمة بسلام. وقد تناول عمها وخالتها الطعام معاً تحت اشعة

الشمس امام المنزل وحان الوقت الآن لبعض النقاش بالموضوع حول مستقبل امانداً.

قالت له اريكا: «أنت لم تكن تثق بأنني استطيع الاهتمام بها؟» وهي تلتقط زجاجة الحليب من الأرض وتراقب غايب يشرب آخر نقطة من العصير.

سألها بسخرية: «من أنا؟» وتابع ببراءة خبيثة: «ماذا تقصدين؟»

اجابته: «لا تحاول ان تكذب، لقد رميت بالطفلة على مسؤوليتي وأنت تأمل بان اهرب صارخة من هنا وان لا تسمع عني مجدداً.»

تجنب غايب نظراتها: «سوف اعترف بأن الفكرة بدت لي جيدة.»

هزت اريكا رأسها ثم أزاحت خصلة شقراء من شعرها إلى وراء اذنها: «لا بد ان تعلم بأنه لا يهمني الأمر الآن، لقد طلبت من وكالة في فيلادلفيا التفتيش عن مربية للأطفال من اجل امانداً، هل تصدق ذلك.»

جميع الأحاسيس الجيدة التي فكر فيها غايب تجاهها قد تبخرت، قال: «هكذا إذن، أنت تودين ان تسلمي ماندي إلى يد غريبة. قولي لي هل أنت ومريديث تربيتما على يدي المربيات في المنزل؟»

اجابته: «طبعاً، كنا كذلك حتى بلغناسن العاشرة حيث ذهبنا إلى المدرسة الداخلية في فيرمونت، ماذا كنت تتوقع غير ذلك؟»

اجابها: «طبعاً كنا.» مردداً كلماتها كالببغاء. «اراك أنت ولختك مثالاً حياً لما ستكون عليه ماندي عندما تكبر، هل

تعتقدين بأنني سأدعك تفعلين بماندي ما حصل معكما انتما الاثنتين؟ ارجوك انسي الموضوع يا سيدتي لا اود اعطاء أي رأي فيه.»

«حسناً، ماذا تقترح عليّ القيام به؟ لن اتخلى عنها... ليس الآن!»

جاوبته اريكا بعصبية واستعدت للتحدي بينهما كالسابق وذلك من شدة عناده.

ساد الصمت ولم يكن هناك من صوت سوى زقزقة العصافير حول شجر السنديان، بينما كان غايب يجلس مأخوذاً بافكاره المجنونة... لا بد وان تكون افكاراً مجنونة ليس هناك من منطق في ما يحصل. لقد فكر بالموضوع في الليلة الفائتة وهو جالساً بمفرده في غرفة الجلوس. وعاد وتراجع عن فكرته. ثم عاد اليها مرة ثانية. ما الذي سيخسره لو عرض عليها فكرته؟ عليه المحاولة. ان موضوع المربية قد شجعه على البوح بما كان يفكر.

قالت اريكا: «حسناً، كم عليّ ان انتظر بعد حتى تأتيني بحكمك واقوالك.»

تكلم غايب وابتسامة ساخرة على شفتيه: «تعالي وعيشي معنا.» قالها بشجاعة فاتحاً ذراعيه ترحيباً بها.

قالت مندهشة: «اهذا هو حلك للموضوع؟ تعالي عيشي معنا، هل أنت مجنون!» نهضت عن الكرسي بسرعة حتى وقعت الكرسي على الأرض وضعت يديها على الطاولة بعصبية قائلة: «أنت لا تعرف كيف تجد الحلول... ان ابنة شقيقتي تعيش مع معتوه.»

قال بسرعة: «اجلسي.» متجاهلاً انفعالها وعصبيتها

حتى لو لم يكن يستطيع تجاهل جمالها وعينيها الساحرتين وتابع: «لو فكرت لدقيقة واحدة بالحل كنت علمت انه الحل المناسب.»

«حقاً!» قالتها بسخرية ثم عدلت الكرسي وجلست عليها مجدداً. «قل لي. هل الفنانين جميعاً يفكرون مثلك؟»

اجابها: «لا أريد مزيداً من الاهانات.» وشعر بأنه قد قام بخطأ معها.

قالت: «لن اهينك ولكن لعلمك في الوقت الذي آخذ منك امانداً سوف اكون اسعد مخلوقة بالعالم.»

اجابها: «كل ما قصدته هو...» وبدأ يشرح لها كيفية انتقالها إلى منزله حتى تتعلم اصول تربية الطفلة وعندما يقتنع بأنها كفؤة لتربية ماندي وتعده بانها ستتحمل مسئوليتها سيسمح لها بالوصاية عليها. مع الحق له بزيارتها متى يشاء واتخاذ القرارات المهمة التي تتعلق بحياة ابنة شقيقه.

قالت محتجة: «ولكن لديّ اعمال العائلة اهتم بها وادير شوؤنها.» وتابعت آملة ان يقتنع بكلامها: «أنا لا العب بالشركة كما تعلم، أنا مديرة مجلس الإدارة ولدي مسؤوليات جسيمة على كاهلي. لن اكون اماً لكامل الوقت لامانداً، لذا ما القصد من تعلم تغيير الحفاضات؟»

قال: «لقد تعلمت وسمعت ان الرئيس المثالي لا يطلب ما لا يستطيع تحقيقه الموظف أو الموظفة. كيف ستعلمين ان تربية ماندي جيدة؟ ان الطفل بحاجة إلى الاستقرار في حياته. ليس من المستحسن تغيير المربيات المتواصل حتى تجدين واحدة صالحة.»

حاولت اريكا ايجاد ثقوب في حديث غايب ولكنه كان على حق. لذا قالت له: «حسناً، ولكن لما لا تاتي أنت وامانداً إلى فيلادلفيا لتعيشا معي؟ لماذا تريد كل شيء على طريقتك أنت؟»

ابتسامته التي تعودت ان تكرهها عادت من جديد وارتسمت على وجهه وهو يجيبها قائلاً: «لانه كما يقول المثل، أنا العب على ملعبي. إما ان نلعب على طريقتي أو لا نلعب.»

قالت: «ما كان عليّ ان اسألك ذلك. كم من الوقت يجب المكوث هنا معكما بحسب رأيك؟» وتساءلت ان كان احدهم سيقتل الثاني تحت ذات السقف لو عاشا معاً.

اندهش غايب مما سمع. واقتنع بانها ستقبل عرضه حقاً.

اجاب: «عندما اتأكد من انك لن تطعمي ماندي الطعام غير المناسب لها أو تغرقينها عند حمامها.»

اجابت: «ولكن هذا يتطلب مني شهوراً.» ثم ندمت على ما تفوهت به عندما رأت نظرة السرور والانتصار في عيني غايب. تابعت: «اعني كم يتطلب مني حتى اتعلم اصول تربية الأطفال؟ اسبوع . اسبوعين.»

اجابها: «لنقدر ونقول ثلاثة اسابيع..»

سألته مندهشة: «ثلاثة اسابيع؟ ولكني لا استطيع الابتعاد عن شركتي كل ذلك الوقت.»

«حسناً.» قال غايب ذلك ونهض وجمع الصحون لأخذها إلى المطبخ وتابع: «اتجدين هذا كثيراً امام محبتك لماندي. اتصلي بنا عندما تتواجدين في البلدة المرة المقبلة ولما لا؟ سوف اخبر ماندي انك تودعينها.» استدار واتجه نحو

المنزل وهو يعد للعشرة. ما ان وصل إلى خمسة حتى سمع صوتها يناديه.

«انتظر دقيقة دعنا نتحدث عن هذا اكثر.»

«أدار رأسه ونظر اليها متسائلاً، اما ان تقوم بما طلبه أو ينسى الموضوع. حتى لو قبلت عرضه لن تصمد اكثر من اسبوع حتى تركض إلى عملها، إذن لماذا يشعر بالأسف عليها هكذا فجأة؟

«سيدتي.» تابع بصدق: «أنت بدأت تثيرين عصبيتي.»

الفصل الثالث

كانت الأفكار تتصارع في رأس اريكا حتى شعرت بالاضطراب والدوار. يا له من رجل كريه، مرة يدعوها إلى منزله ومرة أخرى يصرفها عنه وكأنها بائعة متجولة ومتطفلة. الفنان يكون طبعه متقلب هكذا، أم أنه تعمد أن يجعلها مجنونة؟

قالت بسرعة: «عليك اعطائي بعض الدقائق حتى أفكر بالأمر.»

تابع سيره إلى المطبخ فنهضت وأسرعت بفتح الباب من أمامه.

قال لها: «ما الذي ستفكرين به؟ لقد تركت عملك سابقاً لمدة سنة تقريباً حتى تتجوّلي حول العالم أليس كذلك؟ وماذا يعني الآن ترك عملك لعدة أسابيع؟»

قالت: «لقد كنت خططت لهذه الرحلة وكنت على اتصال دائم مع شركتي.» بينما كانت تتحدث كانت تنظر إلى المطبخ ومحتوياته. ولم تُسر مما شاهدته.

«إذن، ان الهاتف يعمل بين بلدة ألين وفيلادلفيا، هيا قولي ما عندك.»

كان المطبخ ومحتوياته بني اللون. الخزائن تملأ الحائط من السقف حتى الأرض. من سمع بمطبخ لونه بني بالكامل؟ لم يكن هناك من ستائر ولا زهور... إنه مطبخ باهت مثل صاحبه.

قالت: «هل يجب عليّ حقاً العيش هنا؟» وظهر تعبير على وجهها يدلّ على عدم الذوق فيما ترى.

قال: «ماندي ما زالت تأخذ رضاعتها الحليب عند الساعة العاشرة في الليل والسادسة صباحاً... أحياناً الخامسة والنصف. لن تستطيعين القيام بذلك دون المكوث هنا.»

وضع الصحون في المجلى وفتح صنبورة الماء عليهم، ثم أدار ظهره وسألها: «هل من أسئلة أخرى؟»

«هل لي بطلب وجبات الطعام من الخارج.» سألته ذلك لأنها كانت خائفة من التسمم من الطعام الذي يعدّه تابعت دون أن يتفوه بما فكرت به: «أعني اني لا أجيد طهو الطعام سوى بعض الشطائر وأنت سوف ترتاح من المطبخ. سوف أطلب ما يكفي لاثنين.»

اوما رأسه موافقاً، ثم خرج عائداً إلى غرفة الجلوس، كان اثاثها أيضاً باللون البني. كنبة بنية اللون وسجادة بنية وكرسيان من الجلد البني. ومناضد بنية اللون ايضاً، والجدران سكرية اللون.

تقدمت اريكا خطوتين في الغرفة ثم توقفت واضعة يديها على خصرها وقالت: «لا أصدق ذلك. إن المكان ينكرني بمحطة الاتوبيس، وتدّعي بأنك فنان.»

نظر غايب حوله في الغرفة وكأنه يراها للمرة الأولى: «هذا كان بيت غاري... بما أنه الأصغر لقد تركاه والديّ له في وصيتهما، وقد انتقلت إليه بعد موته مفكراً أنه أسهل لي أن أربي ماندي فيه أكثر من شقة في الطابق العلوي.»

قالت: «أنا... أنا آسفة، لم أقصد أن عائلتك لديها ذوق سيء.»

لمعت عيناه الزرقاوان بخبث ورد على اعتذارها بقوله: «آه، لا بأس. ربما معك الحق عن ذوق غاري التعيس، في النهاية لقد اختار شقيقتك.»

عاد النفور بينهما على الفور، رفعت ذقنها بكبرياء وطلبت منه رؤية الغرفة التي ستنام فيها لو وافقت على عرضه المجنون.

كانت الغرفة إلى يسار الممر، مفروشة بطراز ملكي. ويا لها من مفاجأة سارة لإريكا. لقد سُرّت بالغرفة وذوقها الرفيع، سرير أبيض كبير مع سجادة إيرانية بديعة الذوق ولكنها رخيصة الثمن وستائر بيضاء حريرية، يبدو أن غاري لم يغير شيئاً في الغرفة، لأنها كانت ما تزال جميلة.

صرخت اريكا مندهشة: «انها رائعة.»

كان غايب واقفاً أمام باب الغرفة يراقبها وهي في وسط الغرفة وأشعة الشمس تُلقي بنورها عليها.

قال موافقاً: «نعم رائعة.» شيء في صوت غايب انبأها أنه لا يتكلم عن الغرفة بل عليها.

شغلت نفسها بفتح ابواب الخزانة وباب الحمام التابع للغرفة، كما في منزل فلتشر... كل غرفة لها حمامها الخاص بها. لم يخطر ببالها أن غايب قد أعطاها أفضل غرفة في منزله.

قال: «ان ماندي تشغل الغرفة التي بجانب غرفتك أما أنا ففي الجانب الآخر من الممر. إن أردت رؤية مكتبي، إنه في نفس القسم الذي يشغل غرفة الغسيل وغرفة الجلوس.»

سألت اريكا: «مكتب!» ثم نظرت بشغف إلى باب غرفة ماندي المقفل. تتمنى لو أن الطفلة لم تكن نائمة. فهي لم تشعر بالراحة لكونها معه بمفردها: «ألست تعني الاستوديو؟»

تبع غايب اريكا محاولاً أن يشرح لها طبيعة عمله وهو يتناسى أفكاره التي جالت في خاطره تجاهها عندما كانت في غرفتها، لولا وجود الطفلة على بضعة أمتار منهما لكان حصل ما لا تُحمد عقباه...

«أنا رجل لدي مهنتي يا سيدة فلتشر، أنا أرسم بالتفصيل وبالرصاص والحبر كل الرسومات التي تتعلّق بعلوم الطبيعة والكتب الطبية. كل ما احتاجه هو مكتب ونور ساطع. حتى اني لا أحتاج إلى إلهام. إن رؤسائي بالعمل يقولون لي ما عليّ أن أرسم وأنا أقوم بما هو مطلوب مني. انني أرسم أنسجة العضلات هذا الأسبوع. عضلة الساق، ومن هذا العمل احصل على رزقي.»

«آه.» تنفست بخيبة أمل: «لقد فهمت خطأ إذن أليس كذلك؟ لقد اعتقدتك فناناً حقيقياً وليس تقنياً، عليّ أن أشاهد عملك فيما بعد.» قالتها ووقفت فجأة حتى كاد غايب أن يصطدم بها.

«علي أن أعود وأحاسب الفندق الذي كنت انزل فيه ثم أعود إلى المنزل قبل حلول الظلام.»

علّق غايب وهو يشعر بانزعاج: «إذن لن تقبلي عرضي؟» سأل اريكا وهو يتمنى أن لا يكون قد أظهر صوته خيبة أمله وحزنه على فراقها. لكنه عاد ونبه نفسه بأنه يريدها خارج حياته وحياة ماندي، وعليه أن لا ينسى ذلك.

أجابته بهدوء: «على العكس سيد لوغان.» أكدت له وهي متجهة إلى الباب الخلفي: «عليّ الذهاب إلى فيلادلفيا حتى أحضر بعض ملابسي وأنهي بعض الأعمال وأرى محامي.»

كانت يد اريكا ما زالت على مقبض الباب قبل أن يوقفها غايب بقوله: «محامي؟»

أجابت: «طبعاً. فأنا لا اعتمد على موافقة شفهية بيننا في مهمّة تتعلق بمصير ابنة أختي، سوف أدع المحامي ينصّ لنا وثيقة مبنية على شروطك ومن الطبيعي أن أزيد عليها بعضاً من شروطي حتى أحمي نفسي.»

قال غايب: «طبعاً.» ونظر إلى شعرها الأشقر الجميل الذي كان ينسدل على كتفيها وفكر انها تبدو سيدة أعمال ناجحة بالرغم من مظهرها.

قال: «أنتِ غير النساء العاديات يا سيدتي هل تعلمين ذلك؟» هزّ رأسه باشمئزاز ثم وجّه اصبعه إلى صدرها وتابع كلامه بغضب: «ما الذي يحرّكك، من المؤكد انه ليس يوجد قلب هنا.»

تراجعت اريكا إلى الوراء بضع خطوات مجفلة وقالت: «لا داع للإهانات يا سيد لوغان، ألا ترى أنه عليّ حماية نفسي.»

نظر غايب إليها من رأسها إلى أخمص قدميها وقال باستهزاء: «أنتِ تعتقدين أنك قادرة على حماية نفسك؟»

تجاهلت اريكا كلامه وبادرته قائلة له قبل أن تضطر إلى سماع المزيد من تهكماته في الأسابيع المقبلة: «إن شروطي

بسيطة وهي أن أهتم فقط بأماندا وهذه كل واجباتي في منزلك وأن تبقى بعيداً عني.»

شعر غايب بيديه تشدان لتصبحا كالقبضة: «من الأسف أن أختك لم تكن حذرة مثلك، لو أنها كتمت علاقتها بغاري وسجلتها لدى المحامي لكان أكثر حذراً وهرب قبل أن يخسر حياته.»

قالت: «آه شكراً لك لتذكيري.» واحست بالسعادة لأنها أصبحت قادرة على مجاراته في إهاناته... ذلك الرجل الكريه المزعج الذي يقف أمامها. وتابعت: «هناك شرط آخر. لا اريد أن اسمع أي كلام عن مريديث. إنها والدة اماندا كما ان شقيقك والدها. عليك احتراماً لحبيبتك اماندا أن تنسى مريديث.»

هزّ موافقاً برأسه بعد لحظات: «حسناً. لا حديث عن مريديث»

«والشرط الأخير هو انه من السخافة أن أدع محامي يكتب العقد إن كنت تنوي الرفض في توقيعه.»

ضم ذراعيه على صدره وكأنه يفكر ملياً بكلماتها ويعيرها أعمق الاعتبارات، حركته هذه جعلت من عضلات صدره تبرز فاحمرّ وجه اريكا فجأة.

قال في النهاية: «حسناً، ان واجباتك محدودة وهي الاهتمام بأماندا.»

مدت اريكا يدها لتصافحه، فقال: «لكن عليّ أن أرى بنفسي إن كان الشرط الأخير ضروري أم لا.»

قبل أن تبتعد اريكا عنه سحبها غايب بعنف وشدها إلى صدره ثم رفع ذقنها حتى يستطيع النظر في عينيها. كان

ينوي أن يهزّ مشاعرها الأنثوية أن يصحيها من كونها امرأة عاملة محترفة لكنه لم يتصوّر نعومة بشرتها والرغبة التي بدأت تشتعل به رويداً رويداً حتى أصبحت منتشرة في جسمه كله. عندما رفعت يديها إلى كتفيه لتبعده عنها هي بدورها لم تكن متوقعة بأنها ستشعر بهذا الشعور الغريب الذي اعتمرها عندما لامست اصابعها جسمه الدافىء، وبدلاً من أن تضربه بقبضتها وتبعده عنها خانتها يداها وبقيتا تلامسان كتفيه.

فجأة ابعدها عنه وكادت أن تقع. توقفت وحدّقت به مندهشة. رفعت يداً مرتجفة لترتب شعرها المبعثر ثم طلبت منه الوقوف جانباً حتى تمر.

فتح غايب الباب ورافقها إلى الخارج ثم سألها ببرودة: «هل أخفتك يا سيدتي الباردة؟» محاولاً بسؤاله هذا عدم اظهار رغبته بها.

قالت له: «سوف أعود يوم السبت صباحاً يا سيد لوغان ومعي العقد والثلاث شروط مدونة فيه.» كانت تتحدث وهي تتقدم نحو سيارتها دون الالتفات إليه وكعب حذائها يصدر أصواتاً على الممشى الحجري.

أجابها: «لا تكوني مسرورة بنفسك سيدتي، لقد حصلت على قبلات من خالتي العجوز أفضل بكثير من قبلاتك.»

تجمدت اريكا من حديثه اللاذع، وفكرت ان تعود إليه لتهينه أو أن الذي حصل ليس بالأهمية لعودتها. كما ان مستقبل أماندا أهم من أن تقوم بمشاكل معه. «اعتقد ان القوانين ما زالت قائمة.» قالتها وتابعت سيرها إلى سيارتها.

بينما وقف غايب أمام مدخل الباب وتابع مراقبته لاريكا وهي تذهب بعيداً عنه. قال لنفسه: «أولم تسمعي يا سيدتي بأنه من الممكن كسر القوانين.»

لم يفكر أنها فعلاً قد قبلت بعرضه. لقد كان يمزح معها ويحاول تخويفها حتى لا تعود. ولكنها ها هي تقبل بعرضه بسرعة حتى عندما كان يريها أنحاء المنزل لاحظ كم هي امرأة مصممة وجدّية المطالب. ماذا لو أصبحت حقاً متعلقة باماندا؟ هل اخطأ وتفوه بالكلمات التي سوف تكلّفه فقدان ماندي... الشخص الوحيد الذي أحبه؟

«ليس إذا استطعت التحدث أكثر بالموضوع.» قال ذلك متمتماً وهو جالس في غرفة الجلوس الصامتة بعد ان وضع ماندي في غرفتها منذ بضع دقائق. لكنه ضحك من نفسه، ألم يقل ما فيه الكفاية حتى الآن!

أخذ رشفة من فنجان قهوته الذي كان يستمتع به في آخر نهاره، أخذ يؤكد على نفسه بأنه لم يجد اريكا فلتشر انسانة محبوبة، إنه لا يحبها لأنها تشبه مريديث وتذكره بتلك الذكريات الحزينة الماضية. إن آخر ما يريده هو تدخل أي أحد من عائلة فلتشر في حياة ماندي.

لو أنها تتركه لشأنه. لقد كان مرتاح البال ولكنها لن ترحل عنه، ذكّر نفسه بتلك الكلمات سوف تبقى معهما ولن تختفي إلا إذا خنقها أو رماها في البحر. لكن لا، سوف يغازلها ويزعجها بكلماته حتى تهرب منه. نظر إلى فنجان القهوة الفارغ باشمئزاز ثم ابعده إلى آخر الطاولة.

قال لنفسه: «إن على خطتي أن تنجح.»

ربما ماندي ستنبت أسنانها في الأسابيع الثلاث المقبلة.

هذا سيجعل من خالتها أن تهرب صارخة وأن لا تفكر بالعودة مطلقاً. إما هذا أو عليه أن يجد طريقه لاخافتها وابعادها أو يطبق الفكرة التي خطرت له اولاً.

ثم أخذ يطوي الثياب النظيفة وهو شارد الذهن. يحاول أن يعرف ما الذي يضايقه من مجيء اريكا ويجعله منزعجاً لدرجة الغضب.

أمضت اريكا الأمسية في منزلها في غرفة الجلوس وهي جالسة على الكنبة المريحة تنظر إلى ألبوم الصور القديمة. لقد كانت صور مريديث أكثر من صورها وذلك لأنها كانت تحب أن تتصوّر أكثر منها. بينما اريكا كانت تحاول أن تخفي ركبتيها الضعيفتين والتقويم المعدني على أسنانها. كانت دائماً تهرب من كاميرا التصوير. أما مريديث فقد كانت طفلة جميلة ذات شعر أشقر مجعّد وبشرة زهرية اللون. أماندا أيضاً جميلة ولكن عليها أن تعترف بما قاله غايب بالرغم من لون عينيها الأزرق، لقد كانت تشبه والدها كلياً. ربما لديها ذقن اريكا، آه أنا أتمنى أن تكون أسنانها سليمة قويمة.

وصلت اريكا إلى مقاطعة فلتشر في الوقت المناسب حين كانت السيدة جايمس تحضّر لها عشاء بسيطاً وهي تتذمر لأن اريكا لا تأكل أكثر من العصفور.

بعد أن انهت ايريكا وجبة طعامها اتصلت ببوب ابيرناتي محامي العائلة حتى تقابله في الصباح الباكر.

حاولت أن تجد ما يلزمها لتوضيب الثياب التي ستأخذها معها إلى منزل لوغان. ولكن في النهاية رمت بالفساتين على السرير وقررت أن توضب حقيبتها في الغد بعد أن

تكون ارتاحت طيلة الليل. حاولت جهدها كي تدخل غرفة شقيقتها وتوضب ثيابها، لكنها لم تستطع، لذا طلبت من السيدة جايمس أن توضب ثياب مريديث وتمنحها إلى جمعية خيرية محلية.

جاوبتها مديرة المنزل: «لقد آن الأوان أخيراً. ان ثيابها تكفي لنصف سكان البلدة.»

كانت اريكا تعلم ان سيدة جايمس لم تكن تحب شقيقتها كما تحبها هي.

في وقت لاحق من تلك الليلة بعد ما أمضت ايريكا ساعة من الوقت وهي تحاول النوم، نهضت من السرير واتجهت إلى النافذة لتنظر إلى الحدائق المنيرة تحت ضوء القمر وتساءلت عن السبب الذي يجعلها مستيقظة حتى وقت متأخر من الليل بعدما أمضت نهاراً متعباً في القيادة لمسافة طويلة. واتجهت أفكارها إلى امانداً... إلى ملمس الطفلة الناعم والدافىء بين ذراعيها والذي ملأها حباً وشغفاً. عليها أن تحصل على تلك الطفلة! لا احد سيمنعها للحصول عليها. لن تدع ذلك الرجل الكريه أن يحتفظ بها في منزله الباردو الشنيع. سوف تبذل جهدها لفعل أي شيء حتى تعيش تحت سقفه لتأخذ مأربها. ولكن لا داع لدخول المحاكم، عليها أن تتجنب المشاكل بأي ثمن. لقد وجدت من الصعوبة أن يحبّ أحد بكل قلبه تلك الطفلة ويعرضها في ذات الوقت إلى الشائعات وثرثرات الصحافة. لكنها أدركت ان غايب لوغان كان يائساً مثلها تماماً. لو عاملته بفظاظة سيرد لها الضربة بكل وقاحة، إنه متعلق بالطفلة تماماً مثلها إن لم يكن أكثر.

ربما من جراء تفكيرها هذا لم تستطع النوم. إن عرض غايب منافياً لعناده، لماذا اقترح هذه الخطة؟ ماذا ينوي أن يربح؟ ما هدفه؟ هل يظن تغيير بعض الحفاضات كافية لتغير رأيها بالحصول على امانداً؟ ليس هناك منطق! ربما تعب من تأدية دوره كعم. ولكن لو أراد حريته لكان قبل عرضها بأخذ الطفلة منه ولكان ربح بعض المال من جراء عرضها.

اخفضت رأسها وبدأت افكارها تزيد من ألم رأسها، لماذا عليها أن تبحث عن أسباب منطقية لتصرفات غايب، لكن هذا الرجل لا يستحق التفكير به. مهما كان عرضه ستوافق عليه ما دام سيوقع على العقد الذي سيكتبه المحامي بوب في الصباح. وخلال شهر ستنسى وجوده كلياً.

نهضت عائدة إلى سريرها دون أن تفكر بالطريقة التي سيكتب بها بوب العقد وكيفية زيارات غايب لأمانداً.

• • •

جلست ايريكا في زاوية هادئة في مكتبة البلدة وكان اهتمامها مركزاً على صحيفة محلية وبالتحديد على صورة بقايا سيارة محطمة من جراء حادث أليم. أغلقت عينيها بألم واستقامت على الكرسي الخشبي الذي كانت تجلس عليه، لم تكن الوحيدة التي تأذت من جراء حادث اختها فها هو غايب لوغان قد عاش اللحظات نفسها من جراء حادث سيارة أخيه غاري.

استاءت من نفسها لحشريتها لمعرفة المزيد عن غاري

لوغان قدر الامكان. انحنت إلى الأمام وتابعت قراءتها. غاري لوغان، ٢٦ من طريق وادي بيفر، بلدة آلن شارع رقم واحد، قد أصيب بجروح بليغة في الصباح الباكر جراء اصطدام سيارته في منطقة ساليزبورغ وقد أصدرت تقارير الشرطة بأن غاري كان قد اصيب بنوبة قلبية عند حصول الحادث واشتعلت النيران في سيارته وحرقت مخزناً خالياً وحطمته. إن لوغان صاحب مدرسة التزلج على الجليد والحائز على ميدالية برونزية قد نُقل بواسطة الطوافة إلى مركز معالجة الحروق في فيلادلفيا حيث حالته أصبحت مأساوية.

لم تتابع قراءة المقال ولكنها عوضاً عن ذلك أخذت تبحث عن صورة له. وفعلاً وجدتها وعضت على شفتها السفلى، لقد كان رجلاً جميلاً وجذاباً وكان يشبه كثيراً أخيه ما عدا أنه كان حليق الذقن وأن هناك فرقاً شاسعاً بين شخصيته وشخصية أخيه، إن هذا الرجل يثق بالحياة ويحبها. رجل نظر إلى أختها مرة واحدة ووقع في غرامها وفقد قلبه، لا بد وانهما كانا مثل الأطفال في حبّهم وعلاقتهم، حتى أصبح لديهما طفلة دون أن يتحضرا لها، مما جعل مريديث تهرب من مسؤوليتها إلى حريتها.

كما قال لها غايب، إنه القريب الوحيد لغاري ما عدا طبعاً ابنته اماندا.

همست بهدوء: «يا للخسارة.» وهي تغلق الجريدة القديمة: «يا للخسارة الفظيعة.»

«إن كنت قد انتهيت يا سيدتي سوف أهتم بوضع كل شيء في مكانه.»

نظرت ايريكا إلى صاحب المكتبة وقالت: «شكراً لك. إنه لطف منك.» نظرت إلى ساعة يدها فإذا هي الخامسة وقت الاقفال. شكرته مجدداً قائلة: «لقد كنت مساعداً لي.»

خرجت إلى ضوء النهار وتوجهت إلى سيارتها، لقد كانت وصلت إلى بلدة آلن بعد الظهر وأخذت تتسوّق لتضيع الوقت قبل أن تدقّ باب لوغان وهي تحمل حقيبتها بيدها تاركة أمر حياتها ليديرها لوغان للأسابيع القليلة المقبلة. ولكن الآن لم يعد هناك محلات لتراها ولتتفرج على واجهاتها، وحان الوقت لتتوجه إلى المنزل الواقع على طريق وادي بيفر.

كانت المناظر الطبيعية رائعة على طول الطريق المؤدية إلى منزله، من تلال مغطاة بالعشب الأخضر إلى بحيرة على جانب الطريق إلى المنازل الضخمة الرائعة الموزعة على جانبي الطريق.

بعيداً عن المدينة وبعد أن مرّت بالحديقة العامة الكبيرة اعطت اشارتها لتتجه نحو الطريق الضيقة. كان منزل غايب منعزلاً عن بقية البيوت لبعده عن الطريق العام بعدة اميال.

شعرت ايريكا بالخوف فجأة من فكرة العيش لوحدها مع غايب في المنزل نفسه وليس معهما سوى طفلة عمرها ثلاثة أشهر. لكنها نهرت نفسها: «لا تكوني سخيفة.»

لقد كانت جاوبت بوب هذا الصباح عندما حذّرها من المكوث مع لوغان تحت سقف واحد: «إن الرجل لا يتصرف بغباوة حتى يضيّع فرصته الوحيدة للوصاية على الطفلة موافقاً على اعطائها لي بكل بساطة.»

الآن وبعد بضع ساعات من جوابها الجريء. جالت لايريكا أفكار أخرى في خاطرها. أوقفت سيارتها واطفأت المحرك. «هذا جنون... جنون كامل!»

أدارت المحرك حتى ترجع إلى الخلف وتعود إلى فيلادلفيا بأسرع وقت ممكن. وقالت لنفسها، كان على بوب منعي مما سأقوم به عندما أخبرته الموضوع.

نظرت إلى الخلف لتتأكد من أنه لا أحد وراءها وبدأت بالرجوع عندما رأت أنوار سيارة آتية تماماً من ورائها. يا للصدفة الفظيعة. إنه غايب لوغان.

عدّلت جلستها ونظرت إلى الأمام منتظرة مروره. فإذا بها تسمع غلق بابين معاً، قطبت حاجبيها، لقد اغلق بابين؟ من معه؟ نظرت في مرآتها رأته يتجه صوبها وأماندا بين ذراعيه، تنهدت ايريكا. لا بد لأماندا مقعداً على المقعد الخلفي في السيارة.

سمعت صوته قريباً: «أهلاً، إنك شديدة الانضباط في مواعيدك يا سيدة فلتشر. لقد خرجت ومانديّ لإحضار العشاء.»

«عشاء!» أعادت ايريكا الكلمة وهي تسرق النظر إليه. كان يقف أمام باب سيارتها مرتدياً ثياباً عادية رياضية وحاملاً ملأ ذراعيها ابنة أخيه النائمة وكيساً بنياً كبيراً وعلبة شراب غازي.

سألته: «ماذا لديك هنا؟»

أجابها: «شطائر السلامي والبطاطا المقلية.» ورفع الكيس الذي بدا متسخاً بالزيت. «انه العشاء المفضل في ليلة السبت إلا إذا كنت لا تحبين السلامي.»

اغمضت ايريكا عينيها وهزت رأسها ثم تمتمت بهمس: «لا بد وانني فقدت عقلي.»

فتحت الباب وخرجت لتأخذ ابنة أختها بين ذراعيها. شعرت بشعور الأمومة عندما حملتها على صدرها. وأحست انها في بيتها والطفلة بين يديها وكأنها ولدت لتحملها وتحبها. ابتسمت وهي تعتقد أن كل شيء سيسير كما يرام. استدارت ودخلت إلى المنزل وهي تقول فيما كان غايب يتبعها: «بالطبع أحب السلامي، هل لديك دواء ضد أسيد المعدة في المنزل يا سيد لوغان.»

في وقت سابق من النهار كان غايب قد تأكد من أن مانديّ نائمة بسلام قبل أن يدخل إلى المطبخ. وقف أمام الثلاجة المفتوحة لمدة خمس دقائق قبل أن يدرك أنه ليس هناك في المنزل أي شيء للأكل، سحب زجاجة كولا باردة من فوق الرف فتحها ورمى بالسدة باتجاه سلة القمامة ثم دخل إلى غرفة الجلوس، أدار شاشة التلفزيون دون أن يهتم لما يراه وجلس على كنبته المريحة.

يا له من يوم شاق مر عليه، النصف الأول منه مرّ بسرعة حتى الساعة الحادية عشر ظهراً عندما أدرك أن ايريكا لن تأتي في ذلك الوقت لتتناول الغداء معه، لقد حضّر لها شطائر التونة ووضعها في الفرن، وقد أخذ تحضيرها وقتاً من الزمن ثم ذهب ليدير غسالة الثياب ونسي تماماً الشطائر حتى شمّ رائحة الحريق فأسرع إلى المطبخ وتعثّر بلعبة مانديّ ووقع أمام خزانة المطبخ. رمى الشطائر في سلّة المهملات وتناسى الترحيب بضيفته وتحضير الطعام لها مرة أخرى. أما فترة بعد الظهر فلم تكن أفضل من الصباح.

لقد رفضت ماندي النوم فلم يستطع غايب تنظيف المنزل. مع أنه نظّف سجادة غرفة الجلوس وماندي على ذراعه الأخرى، وقد غسل الأطباق بينما كانت الطفلة جالسة معه في المطبخ تنظر إلى حركات يديه وهي تضحك.

ولكن... هل لاحظت ايريكا ما قام به من عمل شاق؟ كلا لم تلاحظ. هل كانت تقدّر كم هو صعب أن يوازن الانسان بين مسؤولياته في المنزل والاهتمام بالطفل والقيام بعمله الذي هو باب رزقه كلهم في آن واحد؟ كلا لم تلاحظ. هل انتبهت كيف أنه وضع ماندي في مقعدها في السيارة في الخلف وأخذها معه لشراء العشاء؟ كلا بالطبع لم تلاحظ كل ذلك. حسناً، فكر بحقارة وهو يشرب قهوته دون الانتباه انه يتصرف كزوجة غاضبة من زوجها غير المهتم بها وبما تفعله. لن أقوم بشيء آخر من أجلها بتاتاً. وها هي ايريكا في آخر الممشى نائمة في غرفة نوم والديه مع أحلامها بالعملة النقدية والدولارات. نائمة، لا بد وأنها مرتدية ملابس النوم. لقد قال لها بأنه سيعطيها ماندي لو استيقظت خلال الليل حتى تهتم بها، إنها واثقة تماماً من نفسها ومستعدة لأن تبرهن قدرتها للاهتمام بالطفلة وأعمالها عبر الهاتف، انها في المنزل منذ بضع ساعات فقط وهو يشعر بأنه غير مسيطر على منزله منذ الآن.

إن حقائبها المرتبة الباهظة الثمن امامه، وكومة الصحف والمجلات المرتبة على المنضدة إلى رضاعات ماندي النظيفة المرتبة على المجلى في المطبخ حتى رائحتها... رائحة العطر المنتشر في أنحاء منزله. ان ايريكا فلتشر قد وضعت بصمتها على كل منزله.

قال لنفسه، إن لديك أفكاراً رهيبة وخططاً فاشلة. نهض وذهب إلى غرفته بعد أن أوقع الصحف والمجلات المرتبة أمامه. وتابع يكلم نفسه، إنما عليّ أن أجبرها على الرحيل من منزلي، ولكن كيف عليّ أن أزيلها من تفكيري؟ أخبرني ذلك يا نكي.

www.rewity.com

الفصل الرابع

كانت الساعة السادسة والنصف صباحاً والشمس ما زالت فوق الأفق. لقد استيقظت اريكا فجأة منذ نصف ساعة على صوت ماندي وصراخها. كذلك صوت اغلاق وفتح الجوارير والأبواب داخل المنزل كما أن غايب كان يصدر صوتاً بحذائه الذي ينتعله، متعمداً، لاحداث الضجيج.

كانت اريكا تريد فنجاناً من القهوة. كلا لا تريد، بل بحاجة ملحة إلى فنجان قهوة وهي يائسة للحصول عليه حتى أنها ستموت أو تقتل أحداً من أجله.

قالت لنفسها: «أين يمكن بهذا المعتوه أن يضع القهوة؟ إنه يخبئها بالتأكيد ولا أستطيع أن أجدها.

أخذت تفتح جميع الخزانات الموجودة بالمطبخ. لقد أمضت ليلة رهيبة دون نوم. كانت تتساءل كيف سمحت لنفسها أن تقبل بعرضه! لم تكن بحاجة إلى ذلك. ولكن البقاء مع أماندا كان رائعاً. حتى لو أن غايب لم يسمح لها القيام بالعمل الكثير. فقد ظلت الطفلة بين يديه حتى حانت ساعة طعامها. لم يكن يثق بها تماماً وخائفاً من أن تقع من يديها. كانت اريكا تكره هذه التصرفات منه لأنها تبعدها عن الطفلة.

صممت عدم امضاء أي وقت مع غايب سوى ما ينص عليه العقد. لذا، عند المساء دخلت إلى غرفة نومها حالما نامت ماندي. لكن مضى وقت طويل حتى غفت. وذلك بسبب

مكوث غايب في غرفة الجلوس يشاهد التلفزيون بصوت مرتفع. كان يشاهد رياضة المصارعة! لم تستطع أن تصدق أن هذا الرجل الهادىء الطباع بقي حتى منتصف الليل يشاهد المصارعة المحترفة.

إنه أسوأ مما ظنته وتأثيره السيىء سيعكس على أماندا. عندما تصطحب أماندا سالمة إلى فيلادلفيا سوف تجد اريكا طريقة تمنعه فيها عن رؤية الطفلة، لكن اولاً ستسمح له فقط ببضع زيارات قليلة. وفكرت بغضب، ماندي من عائلة فلتشر ولن تشاهد المصارعة.

وضعت يديها على وركيها ونظرت إلى الخزائن المفتوحة. كانت اشعة الشمس الساطعة تزعج عينيها. لم يكن من ستائر على نوافذ المطبخ.

تمتمت بتوتر: «إنه قام بذلك قصداً، أنا أعرفه. إن الانسان لا يعثر على حصان ميت في هذه الفوضى.»

قال لها وهو واقف خلفها: «آه... إنك لست ممن يصحون باكراً! سوف تكونين مربية عظيمة لماندي غداً الساعة السادسة. يا للطفلة المسكينة. أتمنى لو تستطيع أن تسامحني. إنها نائمة الآن. على فكرة لقد تناولت طعامها وأخذت حمامها. لا تشكريني على ذلك. أنا رجل كفوٌ واندهش من نفسي أحياناً.»

استدارت اريكا بقميص نومها الحرير الأخضر الذي يشابه لون عينيها ويصل إلى كاحلها. واتهمته بعصبية: «أنت!»

قال: «أجل أنا، لقد حزرت ذلك.» وفتح ذراعيه حتى تراه جيداً. كان عاري الصدر وجسمه الطويل المتناسق لا يغطيه

سوى بنطال من الجينز. يحمل زجاجة حليب فارغة في يده ومنشفة صغيرة على كتفه الأيسر.

«ماذا فعلت بها؟»

دخل غايب إلى المطبخ وهو ينظر إلى الخزائن المفتوحة: «ماذا فعلت بماذا؟» تابع مندهشاً: «هل أنت في مهمة تفتيش في مطبخي. أو أنك تنوين تحضير الفطور لنا؟ لقد قلت انك لست سيدة منزل. آه أنت محتالة يا سيدة فلتشر.»

تمنت اريكا لو تستطيع أن تضربه على رأسه بأي شيء كمقلاة البطاطا مثلاً التي وقعت على اصبع قدمها الكبير بينما كانت تفتح الخزانة. تكلمت قائلة ببطيء: «أين... تضع... أو تخبيء... القهوة؟ لقد بحثت خمس دقائق لأجد فنجان قهوة نظيف ولا يوجد حليب ولديك سكر بني وقد وجدته في البراد. لا بد وأنك أكثر الاشخاص قلة ترتيب في العالم. توقف عن الابتسام في وجهي وكأنك لا تفهم كلامي... أين القهوة؟»

استند غايب إلى المجلى وعقد ذراعيه على صدره: «لن أقول لك إنك لم تقولي الكلمة السحرية بعد.» ثم نظر إليها فاتحاً فاهه حتى رأت أسنانه الناصعة البياض.

لو كانت في منزلها في فيلادلفيا الآن لكانت جالسة على الشرفة أمام طاولة مرتبة عليها اطباقاً صينية باهظة الثمن والكريستال كوعاء الزهور. وعليها جميع ما تشتهي من المأكولات كفطور. ورائحة القهوة الذكية تهف عليها وهي جالسة تطالع الصحف بينما السيدة جايمس واقفة أمامها منتظرة لتصب القهوة لها متى أرادت.

كانت متوترة الأعصاب ومضطربة، لذا قالت له بتذمر: «لو سمحت، قل لي أين تخبيء القهوة؟» وتمنت لو كانت تستطيع أن تقتله بنظراتها.

أجاب: «هذه هي الكلمة السحرية (لو سمحت) وهي ليست سيئة كما اعتقد، وايضاً لن نشعر بالأذى حين نتفوه بها.» ثم اقترب من خزانة عند زاوية المطبخ وتابع: «ها هي القهوة، لا أدري كيف لم تجديها.»

حدقت اريكا بالعلبة التي بيده: «هذه قهوة سريعة أنا لا أشرب هذا النوع من القهوة. لديك آلة القهوة فأين تضع القهوة الحقيقية.»

نظف مكاناً على الطاولة حتى يجلس عليه وجعل قدميه يتدليان ثم أجاب: «آلة القهوة مكسورة، والقهوة السريعة لا تضر، صدقيني.»

«قهوة سريعة! وبدون حليب وسكر بني حتى يلائم مطبخك. آه كلا ليس لي أنا. ليس في حياتي كلها.» ثم استدارت وتوجهت نحو الباب.

ناداها غايب: «أين ستذهبين الآن؟ انتظري لا تقولي إنك سترحلين الآن ولم تبدئي بعد بالاهتمام بماندي.»

توقفت واستدارت نحوه حتى أصبحت قريبة منه لدرجة رهيبة. كانت تعلم بأنه طويل القامة ولكن الآن وهي حافية القدمين يبدو أطول منها بكثير وقد أطل عليها بكتفيه العريضتين. ونظرت إلى عضلات صدره وفكرت، هل هو يمارس الرياضة في نادي ما. تراجعت خطوتين إلى الوراء وهي تقول: «سأذهب إلى غرفتي لآخذ حمام ثم ابدل ملابسي، ولا بد أن أجد مطعماً لأتناول الفطور والقهوة فيه.

بعدئذ، سأذهب للتسوق، سأشتري بعض الطعام وآلة للقهوة. وأنت سوف تبقى هنا. هل من أسئلة أخرى يا سيد لوغان؟»

ابتسم غايب وهز رأسه فنزلت خصلة من شعره الداكن على جبهته: «كلا. ولا سؤال بل ملاحظة صغيرة. ملاحظتين. أولاً سأكون سعيداً للاهتمام بماندي خلال غيابك وثانياً أنت تبدين جميلة على طبيعتك يا حبيبتي في هذا الصباح وشعرك ينسدل على كتفيك. إنه أشقر بطبيعته اليس كذلك؟ لو كنت رساماً حقيقياً كنت أود أن أرسمك. والآن، لو تتنازلين قليلاً عن كبريائك لكنا نستطيع أن نعيش معاً بسهولة أكثر.»

قالت صارخة: «لست حبيبتك.» متمنية لو يتركها لشأنها الآن. جوابها الوحيد كان صفع الباب بقوة خلفها مما ايقظ ماندي من نومها، الأمر الذي جعل غايب يبقى مدة عشر دقائق يربت لها حتى تنام.

عندما بكت ماندي فتحت اريكا الباب وسألت بصوت منهزم: «انها غلطتي أليس كذلك؟ سوف أذهب إليها.»

قال: «لا! اذهبي وتناولي فطورك سيدة فلتشر.» ثم تابع بغضب وهو يتجه نحو غرفة ماندي: «عودي بعد الظهر كالانسانة الحقيقية وباشري عملك الانساني.» سمعت اريكا الكلمات الأخيرة بينما كانت تغلق باب غرفتها بهدوء هذه المرة.

وسمعته يقول بلطف وحنان: «مرحبا يا حبيبتي هل أخافتك تلك السيدة اللئيمة؟ حسناً تعالي إلى عمك غايب وسوف نجلس في المقعد الهزاز ونتكلم معاً. آه رائحتك كم هي جميلة. إن عمك غايب وضع لك العطر هذا الصباح أليس كذلك؟ وقد غسل شعرك وأعطاك رضاعة الحليب...»

رفضت اريكا الاستماع للمزيد من كلماته، إنه يبدو مثل العم الحنون. كانت تكره ذلك الرجل بكل جوارحها.

أخذت تردد في نفسها وهي تقود السيارة: «لن أرفع صوتي أبداً. مطلقاً. أنا لست مجنونة وعصبية. إنني انسانة هادئة ذكية ومنطقية. إنني محترمة من قبل الموظفين وأصحابي في العمل من فيلادلفيا إلى هونغ كونغ. إذن لماذا أدع ذلك الرجل السخيف يجعلني عصبية.»

كانت قد أمضت ساعة في المطعم وهي تشرب ثلاثة فناجين من القهوة بينما كانت تحرك الطعام في طبقها. لم تكن تهوى الفطور صباحاً لقد طلبت الفطور فقط لعدم وجوده في مطبخ لوغان.

أدركت أنها تصرفت بشراسة وهي تهاجم غايب في اللحظة التي دخل فيها المطبخ. ولكنها لم تكن الوحيدة المخطئة. كان يعلم بأنها ستأتي إلى منزله، على الأقل كان عليه طلب أو شراء بعض الطعام.

شطائر سلامي وبطاطا مقلية... صحيح! إن كان يعتبر ذلك عشاء عليها ايجاد مطعم يؤمن الطعام إلى المنازل وهذا الأمر هو أول ما ستقوم به صباح الاثنين. أما الآن لديها باقي النهار حتى تؤمن فطورها وغداءها.

لقد أمضت وقتاً كافياً في معهد في ما نهاتن حتى تتعلم تحضير الطعام من الطبخ إلى تحضير وجبات خفيفة. ولكن ليس في ذلك المطبخ الكئيب الذي تعم فيه الفوضى، سوف اتسمم لو طبخت فيه. علي شراء بعض الطعام والكثير من صحون الكارتون.

توقفت أمام مدخل السوق المركزي وأول ما اشترت كان

آلة للقهوة وساعة منبهة لجانب السرير. ترددت أمام الساعة قبل شرائها فإن أماندا وصراخها عند الصباح كافي حتى تنهض باكراً. ولكنها تضايقت من تفتيشها عن ساعة يدها في الصباح لترى الوقت. بعدها توقفت عند سوق الطعام، كانت هذه زيارتها الثانية في حياتها إلى ذلك السوق. أول زيارة كانت منذ عدة أيام عندما كانت تلاحق غايب والطفلة واشترت علب البندورة.

دخلت السوق وهي شاردة دون أن تأخذ عربة التسوق فعادت ودارت السوق كله لتخرج وتعود لتأخذ العربة من جديد. ثم انتظرت لمدة كافية دون أن تعلم انه عليها الحصول على رقم قبل البدء بالشراء. وعندما جاء دورها لم تكن تعلم مقدار ما تشتري أخيراً اشترت من كل شيء كيلو. من الجبن السويسري واللحم المطبوخ ولحم البقر والبطاطا والسلطة، أيضاً سلامي. فما كان من البائعة إلا أن تمنت لاريكا أن تكون حفلتها ناجحة نظراً لما اشترته من الأغراض. وكادت أن تقع على الارض مع مشترياتها عندما اصطدم بها صبي صغير في الخامسة من عمره وهو يركض على الممر ويصدر اصواتاً كسيارة السباق.

تناولت الصحون الورقية والمناشف وعلب القهوة والخبز الأبيض حتى أنها اشترت باقات من الزهر الملون حتى تزين به غرفتها. كذلك لم تنسَ بعض المناشف للمطبخ. ارتاحت أخيراً ودفعت بعربتها أمام الصندوق لتحاسب. وهنا بدأت المشكلة: «أنت في الممر الخطأ يا سيدتي.» بعدما انتظرت لعدة دقائق. قالت للمحاسبة: «ولكن هذا الممر هو الأقل زحاماً.»

أجابتها: «هذا الممر مخصصاً فقط للمشتريات القليلة فقط ثماني أغراض لا أكثر.»

نظرت اريكا إلى الممرات الأخرى ووجدتها كثيرة الازدحام عادت إلى المسؤولة تحدثها وهي مبتسمة: «بالطبع لا استطيع أن أذهب وانتظر بالدور هناك وأنا جداً مستعجلة. أنا متأكدة بأنك تستطيعين أن تحاسبي لأكثر من ثمانية أغراض. أنت تبدين كفؤة.» ثم أخذت محفظتها وسحبت فئة العشرة دولارات ووضعتها أمامها قائلة: «أنا متأكدة بأننا نفهم بعضنا أكثر الآن.»

• • •

كان غايب يجلس على كرسي في المطبخ ويستمع إلى اريكا وهي ترتب الأغراض والمشتريات في المطبخ.

«لقد قلت لك انني لا أريد أن أناقش الموضوع أكثر من ذلك. أرجوك تراجع إلى الوراء قليلاً فأنت في طريقي. هل ترعرعت في مخزن أوما شابه ذلك؟ أنت تبدو مثل النسر الذي يحاول التقاط فريسته.»

كان غايب يراقبها وهي تفرغ الأغراض على الطاولة من الأكياس: «آه. بسكويت الشوكولا. أنا أحب هذا النوع ولكن المصنوع في البيت ألذّ. ان والدتي كانت تصنعها بنفسها. أنت لا تستطيعين...»

قاطعت كلامه قائلة: «كلا سيد لوغان.» جاوبته اريكا بنفاد صبر: «لا أستطيع. الآن اذهب أرجوك أريد أن انهى هذه الفوضى. هذا المطبخ غير مرتب ولا أدري أين أضع الاغراض.»

«آه سيدة فلتشر. انهي لي القصة. إذن لقد أعطيت النقود إلى المحاسبة واقتربت بعربتك إلى البائعة لتفرغ الاغراض لك. كان عليك ان تعطيها أكثر من عشرة دولارات، لأنها ليست مضطرة لتفريغ أغراضك. وذاك الرجل الضخم الذي يحمل غرضاً واحداً بدأ يصرخ عليك ثم ماذا؟»

توقفت اريكا عن توضيب الاغراض وحدقت به وفي يدها علبة فطيرة التفاح مجلدة: «كان له بطن كبير.» رجفت بقرف واغمضت عينيها وهي تحاول أن تتذكر شكل الرجل ومظهره.

«كان يرتدي بنطالاً قصيراً وقميصاً قطنياً. جوارب سوداء ولا أعتقد أنه حلق ذقنه من مدة أسبوع.»

هز غايب رأسه: «ربما هو في عطلة. الرجل المسكين اعتقد ان كل ما أراده هو شراء غرض واحد ليعود بسرعة إلى منزله ويشاهد شاشة التلفزيون حيث هناك مباراة الليلة ولا يريد أن يثير أية مشكلة.»

نظرت اريكا إلى نافذة المطبخ: «لكنه أثار مشكلة، كان يصيح بصوت مرتفع ووقح. لماذا لا يوجد ستائر على نوافذ المطبخ؟»

«انها في الغسيل، أو على الأقل انها هناك. لقد مضى وقت طويل وقد نسيت غسلها. لم أدرك عدم وجودها من قبل. ذاك الرجل لم يأذيك أو ما شابه أليس كذلك؟» قالها وتمنى ألا تلاحظ نبرة الاهتمام بصوته عندما سألها.

اغمضت عينيها تتذكر تلك اللحظات المحرجة التي تعرضت لها قبل مجيء مدير السوق ليتولى الأمر. حين كان الرجل يصرخ قائلاً: «هذه المرأة هنا تحاول أن تعطي

الموظفة رشوة حتى تتمكن من المرور بسرعة.» وذلك قبل أن يهدىء المدير من الوضع ويفتح صندوقاً آخر للمحاسبة.

«لقد تدبرت الأمر.» قالتها اريكا وهي تأخذ كيساً ورقياً آخر.

«تفضل، آمل أنك تحب السلامي بالفعل. لقد جلبت لك ما يكفي لجيش كامل.» وسمعت في هذه الاثناء صوت بكاء الطفلة، فقالت: «آه، إنها أماندا أليس كذلك؟»

نظر غايب إلى ساعة المطبخ: «إنها ماندي وعلى الوقت تماماً. أنت اهتمي بأغراض المطبخ وأنا سأذهب لأرى ماندي.»

قالت: «هل تحب أن أحضر لك معي بعض الشطائر... أنا أود أن أحضر بعضها لي...»

«أتمنى أن آكل واحدة شكراً.» تابع غايب كلامه ليسهل على اريكا السؤال: «سلامي مع الخردل إذا سمحت.»

قالت: «ان الخبز مصنوع من الطحين الأبيض.» وحملت بيدها رغيف الخبز وتابعت: «إنه كثير الألياف كما تعلم.»

تابعت ماندي بكاءها فأجاب غايب: «أي شيء.» ثم استدار مسرعاً نحو غرفة ماندي.

قال وهو يسير: «اخرجي رضاعة الحليب من البراد وضعيها تحت الماء الساخن لو سمحت. سوف أجلب ماندي وألاقيك على شرفة المنزل.»

بعد عشر دقائق بعدما انتهى من تغيير ثيابها وألبسها ثياباً نظيفة خرج غايب إلى الشرفة ليرى اريكا تضع اناء من الأزهار في وسط الطاولة. وقفت لبرهة تنظر إلى الاناء ثم

أزاحته بضع سنتيمترات إلى الشمال حتى يكون في وسط الطاولة.تفاجأ لعدم استعمالها مسطرة للقياس، لم يكن قد قابل قبلاً امرأة دقيقة مثل اريكا لكنه تأكد من أنها من النوع الدقيق والنظامي.

كانت قد فرشت الطاولة بمفرش نظيف ومرتب أخضر اللون ووضعت الصحون الورقية المزينة برسومات جميلة مع أكواب نظيفة ومحارم تلائم المفرش.

هز غايب رأسه مسروراً بما رآه: «إنها تبدو جميلة.» وتابع وهو يضع الطفلة في مقعدها في الظل: «لقد حاولت اطعامها لكنها غير جائعة بعد. لقد كانت مبللة فقط. أتدرين، لقد نسيت مظهر الطاولة المرتبة والمفروشة.»

ابتسمت اريكا وقالت: «لقد وجدت المفرش والمحارم في الخزانة الصينية في غرفة الطعام أعتقد أنها كانت لوالدتك. آمل أنك لا تمانع في استعمالها ولكني لا أطيق المحارم الورقية.»

قال غايب: «علي أن أعلمك كيف تستعملي الغسالة والنشافة حتى تقومي بغسيل حفاضات ماندي.»

توقفت اريكا عن صب سلطة البطاطا في طبقها وسألت بتعجب: «حفاضات؟»

«ماندي... أقصد أماندا لا تضع سوى حفاضات من القماش؟ لماذا؟»

جلس غايب وتناول نصف شطيرته مراقبا قطعة السلامي الكثيفة قائلاً: «ان لديها حساسية ضد الحفاضات القطنية. العطر هو السبب على ما أعتقد. الطبيب هالورن طلب مني استعمال حفاضات قماشية.» تابع كلامه وهو يتناول قضمة

أخرى: «آه إنها تبدو جيدة، متى ستأتي الحشرات لتأكل الباقي منها؟»

تجاهلت اريكا سخريته وهي تحاول ايجاد حل لمسألة الحفاضات.

سألته: «أليس هنا من خدمات للحفاضات؟ سوف أدفع لهم. أنا متأكدة أن هناك أحد.»

أعجبته نظرة اليأس على وجه اريكا. كما تضايق من تلميحها الدائم عن ثرائها وكثرة مالها.

أجابها غايب بسعادة: «ان الحفاضات تحتوي على مادة كيميائية مما تدفع بأماندا لالتهاب في جلدتها الحساسة. نحن هنا نقوم بتنظيف الحفاضات على الطريقة القديمة. نغسلها.»

«أنت مقرف.» جاوبته اريكا رافعة شطيرتها من لحم البقر لتأكلها بينما كانت نظرات ابنة شقيقتها السعيدة تراقب فراشة تحوم حولها. شعرت بمحبة للطفلة فسألت غايب: «هل أماندا ستبقى مستيقظة لمدة الآن؟ إنني لم أمض معها وقتاً طويلاً منذ وصولي.»

تراجع بكرسيه إلى الوراء وأخذ يفكر، ثم قال لها: «هناك مباراة رياضية ستنقل على شاشة التلفزيون وستبدأ بعد خمس دقائق وأنا أحب مراقبتها. سوف أعطيك رضاعتها لترضعينها هنا ثم تفرشين غطاء على الحشيش الأخضر تحت ظلال تلك الشجرة الصغيرة لتنام بعد الظهر عليه.»

فجأة عادت مخاوف اريكا لديها. أماندا طفلة صغيرة وهي لا تعرف كيف تتصرف مع الاطفال وليس لديها أي

خبرة، لذا سألته بقلق: «سوف تدعني هنا في الخارج لوحدي مع أماندا؟»

دفع بالكرسي على الأرض حتى ينهض: «لقد خبأت مفتاح سيارتك سيدة فلتشر ولن تذهبي بعيداً على قدميك. شكراً للشطائر. ولكن من الآن وصاعداً سوف أحضر بنفسي طعامي. أنا رجل كبير ومسؤول عن نفسي. سوف أطعم ماندي الآن ولكن للمرة الأخيرة عليك القيام بعدها بكل شيء.»

وقفت اريكا على قدميها: «لم أقصد ذلك أيها المغفل.» نظرت إلى وجهه وقالت بصوت عالٍ: «أنت لديك خردل على شاربك.» صراخها أخاف أماندا وبدأت بالبكاء.

قالت اريكا بخجل: «هذه المرة الثانية في يوم واحد ولا زلنا عند الظهر.» كرهت نفسها لأنها بدت ضعيفة أمامه.

حملت ماندي برفق بين ذراعيها قبلت جبينها واعتذرت منها لأنها أخافتها. سكتت ماندي فوراً وشعرت اريكا بالثقة وأحست بأنها قادرة على اطعامها.

في هذا الوقت عاد غايب من المطبخ وهو يحمل زجاجة الحليب بيده وقال لها: «هاك يا سيدة فلتشر رضاعة حليب. لقد غيرت رأي. أعتقد علي أن أراقبك حتى أتأكد من أنك تقومين بالعمل دون أخطاء.»

«لقد قمت بذلك يوم الجمعة بعد الظهر وكذلك الليلة الماضية. أليس كذلك؟ ليس بذلك العمل الشاق كما تصوره لي. اذهب وشاهد مباراتك. هيا لماذا لا تذهب؟»

قال: «إنها مباريات في كرة القدم سيدة فلتشر.» وكم سر لأنها لا تعرف عن المباريات الرياضية شيئاً على الأقل لا

تعرف كل شيء وتابع: «إن فيلادلفيا فيليس هم الفريق الرسمي للعبة كرة الطائرة.»

أجابت بسرعة: «أعلم ذلك.» وهي تأخذ زجاجة الحليب من يده وتجلس لترضع الطفلة. «كان لدي صديق في الجامعة كان من معجبي نادي فيليس وقد تعلمت أن استمتع باللعبة. لقد ربحوا سنة ١٩٨٠ الجائزة العالمية وكذلك سنة ١٩٨٣ ربحوا على الفريق الوطني. إنهم فريق قوي وأعتقد بأنهم سينتصرون هذه السنة أيضاً.»

حدق غايب بها مندهشاً: «حسناً سيدة فلتشر. أنت امرأة مليئة بالمفاجآت.»

ابتسمت له وهي تشعر بتحسن وقدرة على السيطرة على الوضع أكثر من قبل. إن هذه الخطة السخيفة ستنجح: «نعم أنا أعلم يا غايب وعليك أن تناديني باسمي اريكا من الآن وصاعداً.»

الفصل الخامس

أكثر من دزينة أقلام من الرصاص المقلّمة المرتبة داخل فنجان للقهوة وعدة من الأقلام المختلفة الحجم والشكل مصفوفة على صينية بجانب أوعية عديدة من الحبر. أوراق رسم سميكة معلقة على خشبة الرسم جاهزة للرسم عليها.

هناك جمجمة على طاولة الرسم تحدّق بغايب الذي يقف أمامها مستهزئة به، الرجل الذي كان من المفروض أن يكون جالساً على مكتبه يفحص الجمجمة التي ينقصها سن من أسنانها حتى يقوم برسمها على دفتر العلوم الطبيعية.

لقد كان غايب في الغرفة الصغيرة التي يدعوها مكتبه منذ الساعة السابعة صباحاً، بعدما أنهى تنظيف كومة من الحفاضات وغسلها في الغسالة. وكان الصوت الوحيد الصادر في هذا الجناح الصغير في المنزل الريفي هو صوت الغسالة والنشافة، اصبحت الساعة الآن الحادية عشر والنصف تقريباً وقت الغداء، وهو لم يقم بشيء اليوم سوى غسل الحفاضات.

وضع جبينه على زجاج النافذة البارد وتنهد، عليه أن يعمل ولكن كيف يقوم بأي عمل وايريكا متمددة على غطاء تحت أشعة الشمس وهي ترتدي ثوب السباحة.

حسناً، فكر غايب وهو يبتسم لأفكاره، بينما ايريكا ترفع

يدها لتلامس شعرها الطويل وترفعه عن وجهها وهي تستدير لتمدد على بطنها بالقرب من ماندي التي ما تزال نائمة بجانبها في الظل.

وتذكر طلباتها للحصول على الجمال والكمال في عملها. خلال الاسبوع الذي أمضته في المنزل، استطاعت ايريكا فلتشر أن تضع بصماتها من النظافة والترتيب في جميع أنحاء المنزل من خزائن المطبخ إلى رفوف الكتب في غرفة الجلوس.

هناك الأزهار في أواني لم يرها غايب قبلاً في منزله لعدم اكتراثه لفتح خزانة غرفة الطعام. الأزهار في جميع أنحاء المنزل تضفي الجمال والروعة والرائحة العطرة. حتى غرفة نومه قد زُينت. رفع يده ليحك صدره الذي كان مغطياً بثياب داخلية قطنية لم يكن معتاداً على ارتدائها لولا إصرار ايريكا. اعترف غايب لنفسه بأن المنزل لم يعد يبدو مرتباً هكذا منذ وفاة والدته.

كما رأى الستائر الحريرية البيضاء المعلقة في غرفة الجلوس النظيفة وكذلك الستائر عادت إلى نوافذ المطبخ. ان غاري قد أعاد تصميم اثاث المنزل حسب ذوقه، ووضع اللون البني أينما كان. التغيير كان جميلاً ولكنه مع ذلك كان يزعجه.

كانت ايريكا قد طلبت الاذن منه قبل أن تقوم بأي شيء بالمكان. ولكن كل تغيير قامت به مهما كان صغيراً أشعر غايب بأن سيطرته تخفّ معه. لم يكن المنزل فقط. ان ايريكا تسيطر أيضاً على ماندي. كان غايب يراقب ايريكا وهي تقف وترتدي رداء بلون الدراق وتلفه حولها. ثم تنحني

لتحمل بثقة ماندي بين ذراعيها وتمطرها بالقبلات قبل أن يدخلا المنزل من الباب الخلفي.

الساعة التي في الداخل أعلمته انه حان وقت الغداء، فكر غايب ولا بد انها ستناديه الآن حتى يتناول الطعام معها وبالطبع سوف تحضّر له شطيرة سلامي كالأمس.

«آه، كم أكره السلامي.» استدار عن النافذة وحدّق بالجمجمة التي بدت تستهزء به، كانت أموره في المنزل تسير بانتظام وبدون تعب للمرة الأولى في حياته منذ انتقاله إليه بعد موت غاري. كان المطبخ بدون بقع ونظيف كما كان وقت والدته. ولم يعد هناك بقايا طعام مهملة في الثلاجة حتى يتعفّن، كان يتمتع بوجبة طعام شهية كل مساء. صحيح أنها لا تعدّ العشاء بنفسها بل تطلبه جاهزاً، لكنها كانت تحضر المائدة بشكل انيق مما يجعل الطعام شهياً. حتى أنه ذهب لمشاهدة المسرح المحلي ذات أمسية بما أن ايريكا موجودة لتهتم بماندي.

«آه نعم.» كان يحدّث الجمجمة، لقد كانت ايريكا تهتم بماندي حقاً بمحبة حنان، لم يكن هناك ما يتذمّر به تجاه ايريكا، كل ما تقوم به كانت تتممه على أكمل وجه. حتى في عملها بشركة والدها، وكانت تشغل منصب مديرة منفذة، كانت قد تناسته تماماً بعد مضي أربع وعشرين ساعة من قدومها إلى منزله.

انها سيدة اعمال جيدة، لقد دخل المطبخ في ذات ليلة عندما كانت قد تلقت مئات المخابرات من فيلادلفيا بخصوص عملها وكان يتظاهر بعدم سماعه الحديث.

كانت تحلّ عشرات المشاكل الادارية والعملية بسرعة رهيبة، كانت تفكّر بوضوح وتعطي أوامرها بشكل عادل ومحترف.

في الواقع منذ حدوث المشكلة معها في السوق لم تقم بأية غلطة حتى أنه وجد كتاباً عن تربية الأطفال قد اشترته وكانت تقرأه وتسطّر تحت الكلمات المهمة بالحبر الأصفر.

كانت تقوم بكل جهدها مصممة على النجاح لتأخذ ماندي معها بعيداً عنه. وليس عليه الاحتجاج ضد ذلك لقد وقّع العقد بنفسه الذي كتبه محاميها في فيلادلفيا.

لم يكن يعرف غايب إن كان عليه تقبيلها أو صفعها! لكونها امرأة نكية. رفع الجمجمة وجلس على مقعده يردد مقاطع من مسرحية هاملت التي كان معجباً بها.

سمع فجأة صوت ايريكا يقول له: «ان امانداً قد تناولت رضاعتها وقد وضعتها في سريرها لتنام. طعامك جاهز على الطاولة في الشرفة.»

كاد أن يقع من على مقعده عندما انتهت ايريكا من حديثها، لقد دخلت غرفته وهي ما تزال مرتدية ثوب السباحة الأخضر والقميص فوقه، إنها لم تدخل مكتبه قبلاً. كانت دائماً تقرع على الباب وتكلمه من ورائه. سألها فجأة وهو يحدق بلباس السباحة الأخضر تحت القميص: «هل تقرأين لشكسبير؟»

هزّت رأسها ايجاباً وهي تتجوّل في الغرفة تنظر إلى الأقلام والاوراق دون استئذانه، ثم توجهت إلى لوحات معلقة قائلة: «هذا ليس من ضمن عملك.» محدقة بالوجوه

المرسومة لرجل كبير في السن ولوحة عن ماندي وهي نائمة واضعة ابهامها في فمها: «آه غايب لقد كذبت عليّ أنت فنان موهوب، هذه الرسومات بديعة.»

استدار غايب فجأة إلى الطاولة الصغيرة التي إلى جانبه وأغلق دفتر الرسم. لقد أصبحا خلال هذا الاسبوع صديقين. وآخر شيء يتمناه هو أن تبتعد عنه ايريكا وتعامله كالغريب مثل السابق. لكنه كان قد تأخر في إخفاء الصفحة التي يرسمها، لقد رأت ايريكا الدفتر ورفعته لتحدق بالرسمة الأولى لعدة لحظات ثم احمرّ وجهها خجلاً: «هذه الصورة لا بد وأن تكون رسمتي أليس كذلك؟»

سألته وهي تنظر مباشرة إلى وجهه: «بالطبع هذه صورتي لماذا أنا أسألك... إنها جيدة.»

قال مقاطعاً: «ايريكا أرجوكِ دعيني أشرح لك. إنه ليس كما تظنين.»

وضعت الدفتر على الطاولة بانتباه ثم استدارت وتوجهت إلى الباب وعندما تكلمت قالت بصوت هادىء منخفض: «كيف لك أن تعلم بماذا أفكر يا سيد لوغان؟»

«ايريكا لا تتصرفي كما كنت تتصرفين سابقاً.» قال ذلك محتجاً: «لقد سألتني إن كنت فناناً وقد أجبتك بالنفي، إنني لست فناناً بعد. على الأقل ليس برأي. كان لدي معرض للوحاتي منذ ستة أشهر في نيويورك، هل تعتقدين ما ترينه فناً؟»

«رسم الوجه والرأس ممتاز أما الباقي فهو فقط تخمين.»

ابتسم غايب قائلاً: «حقاً؟ كنت اعتقد انني رسمتك بالضبط

كما تبدين، ولكن إن أردت أن تخبريني أين أخطأت فلا بأس بذلك وسأكون سعيداً لو أنك جلست أمامي حتى أرسمك. كما ترين...» وأشار هنا إلى الجمجمة: «إن جميع رسوماتي تتعلق بأشياء جامدة ولا تتذمر مهما رسمتها خطأ.»

نظرت إليه غاضبة وقالت: «أنت مُقرف.» ورفعت ذقنها مؤكدة: «مقرف تماماً.»

نظر غايب إليها بلؤم من رأسها إلى أخمص قدميها وقال لها: «وأنت لديك أعظم ساقين رأيتهما في حياتي.»

«ليس هذا ما نناقشه، سيد لوغان.» واحمرت خجلاً من كلامه.

تقدم منها مبتسماً وقال بنعومة: «كلا ليس ساقيك وأنت تعرفين كيف تكون سيدة ايريكا فلتشر؟ أنا لا اعتقد أنك غاضبة من رسمتي لأنها خطأ بل إنك مستاءة لأنها تشبهك تماماً.»

قالت: «كلا ليس كذلك.» وخطت خطوة سريعة إلى الوراء بينما تقدم منها أكثر وهو ما زال يبتسم ونواياه ظاهرة في عينيه. فتمتمت قائلة: «إنه... إنه...»

توقفت عن الكلام عندما لامس غايب بيده خدها: «ناعم كثيراً، إن جلدك كالمرمر الدافىء. رائحتك مثل رائحة البنفسج تحت أشعة الشمس، أنت تجذبيني إليك وتفتنينني. كيف هو طعمك يا ايريكا؟ هل طعمك مثل الصيف أيضاً؟»

لم يستطع المقاومة. بلع ريقه بصعوبة وهو يعلم بأنه سيخطو خطوة ربما تقوده إلى مصيبة.

شعر بجمودها في البداية وأخذت ذراعاه تطبقان عليها

وعلى خصرها النحيل برفق ومحبة. تمتم: «آه ايريكا.» وغمر وجهه بشعرها الطويل وتابع: «أنت تفقديني رشدي هل تعلمين ذلك؟ أنت امرأة جميلة جذابة ومثيرة لا أستطيع سوى التفكير بك طوال الوقت... أنا أريدك... أنا بحاجة إليك...»

لم يعد غايب قادراً على التفكير بنتائج أفعاله. كل ما كان يعرفه هو أن المرأة التي في منزله قد أصبحت الآن بين ذراعيه وهو يريدها أكثر مما أراد أي شيء في حياته من قبل.

عندها فجأة اليدان اللتان كانتا تضمانه إليها بشدة بدأ بدفعه عنها بشدة بعدما كانتا لطيفتين معه.

غضب غايب من نفسه ووقف جامداً لدقيقة طويلة مفكراً، لماذا على ايريكا فلتشر أن تشعر تجاهه كما كان يشعر تجاهها. ثم أخذ علبة حبر ورماها على حائط الغرفة بعصبية.

• • •

جلست ايريكا داخل السينما المظلمة تحدق بالشاشة. كان فيلماً مرعباً. ولكنها كانت تفضّل الأفلام الاستعراضية الموسيقية وقصص الجاسوسية، حتى الصور المتحركة أفضل من فيلم الرعب. كانت تكره افلام الرعب وفكرت أن تنهض وترحل. مرّت ساعة وهي ترى خلالها ذلك القاتل الرهيب المتنكر بثياب التزلج وهو يقتل الأشخاص، صرخاتهم المدوية... وما زالت ايريكا جالسة شاردة الذهن. كانت تحاسب نفسها على ما قامت به.

«كيف سمحت لنفسي بالقيام بذلك؟» سألت نفسها أكثر من مرة. كيف شجعته على تصرفاته، كيف تركته يلمسني...؟ هزت رأسها رافضة أن تتذكر الحرية التي أعطتها لغايب وكيف جعلته يتصرف معها على تلك الطريقة ودعته يعتقد انها ترحبّ به، على الأقل كانت صريحة مع نفسها فهي لم تشعر بالانزعاج من تصرفاته بالعكس لقد اعجبها غايب لوغان كونه عاشقاً ماهراً.

كانت سعيدة بالصورة التي رسمها لها، الصورة! نهضت ايريكا من مقعدها ووقع البوشار الذي لم تتذوقه على الأرض. إن الصورة ما زالت في مكتبه. كم من الوقت قد جلست هنا؟ نظرت إلى ساعة يدها لكن في الظلام الدامس لم تستطع أن ترى الوقت. لقد أمضت طيلة بعد الظهر مختبأة في غرفة نومها ثم ذهبت إلى السوق لتأكل شطيرة جبنة وقد تمشت أمام محلات كثيرة عندما قررت الذهاب إلى السينما. إن امانداً ستكون على ما يرام. سوف يهتم بها غايب بالتأكيد. كما أنه قد ذهب للمسرح قبلاً لذا من العدل أن تذهب هي أيضاً. أما الآن فقد أصبحت الساعة الحادية عشر ليلاً، لذا توجهت إلى سيارتها للذهاب إلى المنزل وهي مصممة على الحصول على الصورة.

حاولت ايريكا التركيز بقيادتها على الطريق. لقد كانت لوحة جميلة كانت تعلم ذلك، لقد رسمها وهي جالسة تحت أشعة الشمس بينما وجهها ترفعه نحو السماء وشعرها منسدل على كتفيها. وسألت نفسها: «هل حقاً غايب يراني هكذا جميلة!»

اقتربت من المنزل حيث أوقفت سيارتها بعدما أطفأت أنوارها، بحثت عن مفتاح المنزل الذي أعطاها إياه غايب ودخلت على رؤوس أصابعها متجهة فوراً إلى مكتبه. وبدأت البحث عن اللوحة، فلم تجدها. لقد اختفت، بحثت في كل مكان، لكن دون جدوى لا بد وأنه أرسلها حتى يضع إطاراً لها... الحقير.

جلست على مقعده تحدّق بالمكان الذي وقفت فيه معه منذ ساعات عندما كانت بين ذراعيه. كانت تعلم أنها منجذبة إليه والآن علمت أنه يشعر بنفس الشعور تجاهها. كلا ليست منجذبة بل راغبة به، أحنت رأسها معترفة لنفسها بأنها هي تريده أيضاً. هي الانسانة الباردة المتعجرفة ايريكا فلتشر تنجذب إلى غايب لوغان لدرجة أنها جعلت من نفسها تبدو حمقاء أمامه.

قالت بصوت مرتفع: «هل أنا سيئة مثل مريديث؟» ثم حدثت الجمجمة التي أمامها: «لم أفكر بأماندا مطلقاً عندما كان يقبلني، ماذا أحاول أن أفعل؟ هل أنا خالة جيدة لأماندا أو انني أحاول اغواء عمها؟»

أتاها صوت قلق من خلف ظهرها فجأة: «إن أردت رأيي، أعتقد أنك تجعلين من نفسك انسانة مجنونة. أين كنتِ حتى هذه الساعة المتأخرة؟»

رفعت ايريكا رأسها لتراه واقفاً أمام الباب وكان يبدو وكأنه كان نائماً واستفاق على صوتها، لقد سمع ما قالته بالطبع، وتمنت لو أنه لم يسمع كل حديثها.

لم يخطر ببالها أنه كان قلقاً عليها فسألته: «هل أماندا بخير؟ أرجوك سامحني لتركها بعد الظهر فأنا أعلم أنك هنا

وكنت بحاجة إلى الانفراد بنفسي بعض الوقت... لم تعذبك أليس كذلك؟»

شبك ذراعيه على صدره وبلعت ريقها عندما رأت عضلاته.

قال: «لم تكن ترغب كثيراً بالأرز هذه الليلة ولكننا تدبرنا أمرنا بدونك. هل أنتِ في حالة جيدة؟»

نظرت إليه وكأنها تراه للمرة الأولى، لماذا لم تلحظ الذكاء الظاهر في عينيه الزرقاوين قبلاً؟

«أنا بخير وأنت؟»

دخل غايب الغرفة ووقف أمام طاولة رسمه: «أنا بخير، ما الذي فعلته يا ايريكا؟ هل أخفتك؟ لم أقصد أن أصل معك لهذه الدرجة. إنه فقط... حسناً انك امرأة غير باقي النساء، كنت تقذفيني بالإهانات وبعدئذ...» بدأت نبرة صوته تتغير فرفع الجمجمة وأخذ يقذف بها من يد إلى أخرى: «على كل حال لم أقصد إخافتك وأعدك بأن هذا لن يحصل مجدداً.»

وضعت اصابعها على جبينها محاولة جمع افكارها، لو أخبرته أنه لم يخيفها بل هي من أخافت نفسها، ماذا سيفكر؟ لم ترد أن تقول له بأنها لا ترغب أن يحصل معها نلك مرة أخرى ولكنها كانت متأكدة بأنه لو لمسها الآن سوف تنهار كلياً بين يديه.

«ايريكا.» ناداها وهو ينحني عليها: «هل ما زلنا نتكلم مع بعضنا؟»

جمعت قواها وجعلت تعبير وجهها يدل على الشجاعة والبرودة، ابتسمت له وأجابت: «لا تكن سخيفاً، بالطبع ما زلنا صديقين ونتكلم مع بعض، ان فترة بعد الظهر مرت علي

وأنا مستاءة من نفسي أكثر مما كنت مستاءة منك. أنت رجل ومن الطبيعي أن تأخذ ما يقدم لك ولكني لم أرد أن تعتقدني بأنني مثل...»

قاطعها قائلاً: «مثل مريديث.» أكمل الحديث عنها بصوت ناعم: «لقد سمعتك تتفوهين بالإسم عند قدومي.»

امتلأت عينا ايريكا بالدموع وعرفت بأنه سمعها. فأجابت: «نعم، مثل مريديت.» وأدارت وجهها بعيداً عنه: «أنا أشعر بعدم الاخلاص تجاهها، لقد كانت اختي...»

«وكنت تحبينها.» اقترب غايب منها ووضع يده على كتفها: «لقد كانت أختك يا ايريكا، لن أحترمك لو كنتِ على عكس ذلك. أنتِ سيدة محترمة وعاقلة في جميع مواقفك وأنا أحترمك لهذا.»

قالت: «غايب، أنا...»

قاطعها مجدداً: «دعينا لا نتكلم أكثر هذه الليلة، لما لا تذهبي وتأخذي قسطاً من الراحة وعند الصباح سنتابع حديثنا وكأننا نتقابل للمرة الأولى ولا شيئاً بيننا سوى محبة ماندي.»

قالت له: «أنا أحبها يا غايب. لقد أحببتها أكثر مما كنت اعتقد وأنا مستعدة لأن أعمل أي شيء لأجلها.»

استدار غايب وحدّق بها ملياً: «نعم ايريكا أنا أعرف ذلك، سأعمل أي شيء حتى لا أتخلى عنها أنا أيضاً بعدما اتفقنا ووقعنا العقد. تصبحين على خير.»

بعد مرور عدة دقائق عندما تأكدت بأنها لن تجده في الممر، ذهبت ايريكا إلى غرفتها وكلمات غايب تتردد على مسمعها. ماذا كان يعني بقوله لقد اتفقا وقاما

بالعقد الشرعي السخيف. كم تمنت لو أنها لم تجبره على التوقيع. كيف يستطيع غايب أن يحبها؟ ويريد تقبيلها وهو مع مرور الوقت، كل لحظة تمر بينهما تقرّب انفصاله عن ابنة أخيه لتأخذها هي، كيف ستفعل ذلك به؟ كيف ستأخذ أماندا منه؟ كيف ستفعل ذلك وتعيش حياتها وهي تشعر بالذنب؟

هكذا تعلمت أن تعيشي حياتك، كانت تكلّم نفسها بوقاحة، أرادت الوصاية على أماندا ناسية كل شيء من حولها، هذه أنانية منها. لقد برهنت لوالدها بأنه على خطأ وبرهنت لجميع الناس حسن إدارتها وتصرفها لقد أصبحت كالآلة، بدون احساس. إن نجاحها المهني كان على حساب شعورها، انها الآن تشغل منصب مديرة تنفيذية، وكيف أصبحت كذلك؟ لقد ضحّت كثيراً لتكسب ثقة الجميع ونسيت الاحساس الانساني.

والآن انها تتحدى غايب، ليس فقط أن تسيطر على تربية أماندا، بل أدارت المنزل برمته، منزل لوغان دون اعتراض غايب. مصممة على أن تقوم بكل شيء وأفضل من قبل وأفضل من أي شخص آخر.

لكنها لم تحسب حساب الجانب الانساني. لم تحسب حساب المحبة العظيمة التي تربط بين غايب وابنة أخيه، نفس المحبة التي ربطتها بأماندا، حب الدفاع عنها وحمايتها، كيف لها أن تحرمه منها؟

لذا سألت نفسها مرة أخرى، كيف ستأخذ أماندا من الرجل الذي يحبها ومستعد أن يضحّي بعشرين سنة من مستقبله في سبيل تربيتها؟ كيف ستجرح غايب، الذي

جعلها تشعر بالكثير من السعادة التي لم تحصل عليها قبلاً؟ دخلت غرفتها المظلمة ورأسها يؤلمها، ذهبت إلى الحمام لغسل وجهها ثم عادت إلى غرفتها لتأخذ قميص نومها فإذا هي أمام اللوحة التي رسمها لها على السرير، ذهبت لتنظر إليها وتتأمل صورتها المرسومة بكل عناية ودقة.

الفصل السادس

«ها أنت. يا له من صباح مشرق. اعتقدت بأنني سأجدك هنا على الشرفة. أود أن أتحدث معك عن لوحاتك إن كنت لا تمانع بالطبع.»

كان صوت اريكا فرحاً ومرتفعاً قليلاً وهي تقول ذلك.

نظر غايب إليها ليراها واقفة أمامه واضعة ماندي على خصرها. كانت الطفلة مشرقة من جراء الحمام ومرتدية فستاناً قطنياً أبيض مزيناً بالزهر.

«مرحبا أميرتي.» حيا الطفلة: «ألست تبدين جميلة!» ثم تابع كلامه وهو ينظر إلى أريكا: «آسف لا أستطيع محادثتك فأنا مشغول بالأخبار الرياضية.»

قالت: «انك تتجاهلني متأملاً بأنني سوف أنسحب؟ حسناً لن أذهب ولن أدع هذا الشيء يمر بسهولة.» وتقدمت خطوة أخرى تجاهه.

قال: «ما هذا، لم أكن أسمع. ان الفيليس قد ربحوا مجدداً.»

أجابت: «ما زالوا في بداية المباراة. انتظر حتى تصبح في آخرها.»

وقفت مكانها تفكر بطريقة ما لتبدأ بمناقشته. قالت أخيراً: «حسناً إن لم نناقش أمر لوحاتك ربما يمكننا التحدث عن الزيت الذي وجدته في غرفة نومك.»

اهتز غايب وهو يرمي الصحيفة من يده على الأرض

دون مبالاة وقال بغضب: «ماذا كنت تفعلين في غرفتي؟ اريكا لماذا لا تهتمين بشؤونك الخاصة وتدعيني بسلام.»

كانت تعلم أنه يمكن يكون عنيداً. لذا أحضرت معها ماندي من الداخل لتأخذ منها القوة وتحميها من وقاحته وغضبه. إنها تستغل وجود الطفلة الآن مما جعلها تشعر بالخجل، لكنها اخفت خجلها بصوتها العالي: «توقف عن الصراخ كالدب يا غايب، ألا ترى أنك تزعج الطفلة.»

كانت ماندي تمص أصابعها بسرور وهي تنظر إلى الضوء في الشرفة. رفع غايب حاجبيه وقال: «آه نعم حسناً، يا للطفلة المسكينة. هل تعتقدين أني أعيق نموها العاطفي؟»

تابعت اريكا هجومها عليه: «أنت لست سوى جبان أليس كذلك؟»

«جبان؟ وأنت تختبئين وراء طفلة لا تتجاوز الثلاث أشهر وتنعتيني بالجبان.»

رفعت اريكا ذقنها: «نعم أنا أدعوك جبان. ما هو عمرك يا غايب ثمانية وعشرون، ثلاثون عاماً؟»

أجابها: «اثنان وثلاثون. ولا تحاولي ملاطفتي أنا أعرف حيل النساء.»

«حسناً.» قالت اريكا وهي تعلم أنها سوف تصل إلى غايتها بالرغم من اعتراضاته.

في الليلة الماضية وهي مستلقية على السرير صممت أن تدفع غايب إلى الشهرة وإلى الحياة. إنها قادرة على الاهتمام بماندي الآن وهي تتصل

بالمكتب ثلاث مرات باليوم لتلاحق أعمالها. لم يعد من سبب يجعل غايب يتوقف ليصبح فناناً حقيقياً كما يريد.

قالت له: «أنت في الثانية والثلاثين من عمرك. وتتصرف كالطفل الذي يخاف اظهار رسوماته إلى المعلمة. أنت فنان موهوب يا غايب. فعلاً موهوب. لماذا تصر على الاختباء وعدم اظهار رسوماتك وتتابع رسم العضلات والجماجم عوضاً عنها؟»

«كما قلت لك من قبل، لقد أقمت معرضاً منذ ستة أشهر في نيورك لذا هذا لا يسمى أنني مختبىء.»

قالت: «نعم أعلم، لقد أرسلت أحد موظفي الشركة للتحقيق بالأمر، وعلمت بأن كان معرضاً صغيراً في القرية وتدعوه معرضاً؟»

أصبح غايب الآن عصبياً، ربما كانت قاسية معه. كانت تتمنى في أوقات كثيرة لو أنها لم تكن إنسانة تحب الكمال في العمل. لكنها بدأت نلك وسوف تنهيه. غمرت أماندا بشدة أكثر.

قال غايب: «أدعو نلك بداية سيدة فلتشر. ليس لدي اتصالاتك ومعارفك كما تعرفين. بجانب أن غاليري متروبوليتان كان محجوزاً هذا الفصل. كانوا يعرضون لوحات لأحد الفنانين غير المعروفين اسمه ليوناردو أو ما شابه.»

وضعت اريكا ماندي في مقعدها ثم وقفت ووضعت يدها على وركها وقالت له: «سوف أعزف لك لحناً حزيناً يا طفلي المسكين. كم أشفق عليك.»

أجابها وهو يمسك يدها شاداً عليها: «أنت تحبين أن تعيشي في خطر يا سيدتي.»

قالت: «أعطني بعض الشروحات يا غايب. أنا لم أقل لك أن تبدأ من فوق. ولكن هذا العمل عملي، أو على الأقل أجيده تماماً. أنا أنظر إلى الفن يومياً وأحكم عليه. لوحات منحوتات، سجاد، قطع مفروشات أثرية. إن عملك مثالي. أنا لا أقترح أن اسمك ستحمله الشهرة هكذا، أنا فقط أقول ان عليك الاهتمام بمهنتك واعطائها الأولوية. أكرر كلامي مرة أخرى انك جبان.»

قال: «لماذا يا اريكا؟ لماذا هذا الاهتمام؟»

جلست على الارض بالقرب من ماندي ووضعت تنورتها تحت ركبتيها وحاولت بانتباه اختيار الكلمات التي ستتفوه بها، لأنها لو قالت له انها تريد مساعدته لأنها مهتمة به لكانت اعترفت بمكنونات قلبها وهذا ما لا تريده أن يعرفه.

قالت أخيراً متجنبة نظرة عينيه: «أنت عم أماندا.»

صفع غايب جبينه بباطن يده: «آه الآن فهمت. أماندا فلتشر لا يمكن أن يكون لها قريباً أي كان، أليس كذلك؟»

قالت بصوت عال: «كلا، ليس هذا هو الموضوع.» فارتعشت أماندا وبدأت تقلب شفتها السفلى استعداداً للبكاء. تابعت اريكا: «لماذا لا تدعني أنهي حديثي قبل أن تهاجمني؟ كل ما قصدته هو مهما كنت سعيداً بحياتك قبل مجيء أماندا فأنت تدين لها بمستقبل باهر. أنا أعلم بأن عملك يدر عليك مالاً وافراً ولكنه لا يقارن بما ستجنيه لو تفرغت تماماً للفن. أنت بدأت بأول معرض، لذا لا

تدع أماندا والاهتمام بها يعيقك ويضع نهاية لمهنتك.»

جلس غايب على مقعده مجدداً وقال: «دعيني أفهم هذا منك. سوف تهتمين بماندي وتأخذينها مني بعد حوالي الاسبوعين. طبيعي انك لن تدعيها تجوع.»

قالت: «كلا.» وهي تعلم أين سيؤدي كلامه. وهي غير قادرة على اسكاته وتغيير رأيه.

لذا تابع: «إذا لم يكن المال هو الذي تحتاجه ماندي مني، إذاً هناك شيء آخر وربما هذا الشيء هو الشهرة، اليس كذلك؟ كلا، عائلة فلتشر لا تبحث عن الشهرة أليس كذلك؟ لكن لو أصبحت ثرياً ومشهوراً سيطالبونني بالكثير أليس هذا صحيحاً؟ عند ذاك سيكون من الصعب أن أرى ماندي وستحظين بها لوحدك.»

أجابته: «أنت تتصرف بسخافة!»

ارتفع صوت غايب أعلى من صوتها وهو يقول: «وأنت تعرفين كيف تضربين على الألم.»

في هذه الاثناء أوقعت ماندي جواربها وبدأت بالصراخ ليتوقفا كلاهما عن المشاجرة.

اتهما بعضهما قائلين: «انظر الآن ما فعلت!» أخذ غايب ابنة أخيه وغادر المكان تاركاً اريكا محدقة به بعينين دامعتين ومتسائلة عن الوقت الذي تستطيع فيه ان تجعله يستمع إليها.

كانت اريكا تضع الأطباق في الجلاية عندما دخل غايب عليها في المطبخ. كان يستمتع بمراقبتها وهي تعمل كانت تغسل كل طبق على حده قبل وضعه في آلة التنظيف بشكل مرتب.

في الأيام الأولى القليلة كانا قد تناولا الطعام في أطباق ورقية. لكن اريكا لم يعجبها تناول الطعام بها، لذا لم يمض وقت حتى تكومت الأطباق في المجلى، كان سيغسلها لاحقاً لكنها ابتدأت قبله.

بعدما كانت اعلنت له في البداية أنها ستهتم بماندي فقط ولا شغل لها في المنزل، ولن تعمل كالخادمة عنده ما لبثت أن اهتمت بالمنزل كله. حتى أنه وجدها تنظف السجاد ذات يوم. تساءل إن كانت كوالدته ست بيت نظيفة أو أنها تريد السيطرة فقط. مهما يكن فقد أعجبه الأمر وهو الآن يعيش مرتاحاً في منزل نظيف أكثر من أيام عزوبته. أيام عزوبته؟ ماذا يفكر؟ إنه ما يزال شاب أعزب له الحرية بأن يذهب ويجيء كما يشاء. حتى أن يواعد الفتيات وأن يحلم... آه من كان يخدع؟

إنه متزوج. متزوج وأب لطفلة في شهرها الثالث، هكذا كان يشعر وهذا ما سيبدو لأي شخص ينظر إلى داخل منزله من خلال النوافذ.

هكذا كان يحب التفكير بأماندا واريكا عندما يكون جالساً لوحده متأخراً في الليل متشوقاً لترك سريره والذهاب إلى غرفة اريكا ليحيطها بين ذراعيه وهي غافية والاستماع إلى أنفاسها البطيئة المتساوية. وهي تصحو لتجده بجانبها وتستدير باتجاهه مرحبة به.

هز رأسه لتذهب الفكرة منه وليركز على اريكا فيما كانت تمسح أغطية الخزائن وسطح الرفوف، كانت تركز على بقعة قهوة لتزيلها.

«اريكا؟» قالها بهدوء وتابع: «إن ماندي تبدو نائمة

بعمق وستظل هكذا لساعتين بعد. هل تعتقدين ان بإمكاننا التحدث الآن؟ أنا أعدك بأن لا أصرخ عليك الآن.»

تجمدت يدها وهي تلمع البلاط وتنظف بعض فتافيت الخبز. استدارت لتنظر إليه: «منذ متى تقول نتكلم يا غايب؟ هل تعني كشخصين يتبادلان الحديث أم أن تتكلم لوحدك وأنا استمع إليك؟»

اقترب منها وأمسك بيدها بعدما رمى بقطعة القماش في المجلى ثم سحبها إلى خارج المطبخ وهو يقول: «أنا أقصد أن نتبادل الحديث بالدور. أولا أنا أتكلم وأنت تستمعين ثم أنت تتكلمين وأنا أستمع. أليس هذا عدلاً؟»

قالت مشيرة إلى صدره: «أنت ترتدي قميصاً داخلياً الآن...» ثم جلست قبالته على الطاولة محاولة أن تجعل المودة بينهما بعد نقاشهما الحاد في الصباح. وتابعت كلامها: «لا بد وأن حديثك جدّي.»

وافق على كلامها: «إنه لكذلك!»

ثم نهض مرة أخرى وهو يشعر بالتوتر. وسألها: «أتريدين بعض الشاي البارد؟»

علمت أنه يحاول ان يشغل نفسه بشيء قبل البدء بالكلام.

فقالت: «لا شكراً لقد تناولته لماذا لا تباشر بالكلام.»

اومأ برأسه موافقاً. ثم جلس بهدوء محاولاً أن يفهم لماذا يتصرف هكذا. إنه شخص تعود على العيش بمفرده ولم يكن من شأنها أن تعلم بخصوصياته. لكنها دعته بالجبان وهو لا يريد أن يدعها تفكر به هكذا. لا ليس هي... ليس اريكا. لذا عليه شرح كل شيء لها.

«لقد كنت أكبر غاري بست سنوات. لم يكن سوى نحن الاثنين معاً. كان والدي يعمل في شركة أنابيب أما والدتي فكانت تبقى في المنزل وتعد الحلويات لنا وتضع دائماً المئزر على خصرها. كنا أنا وغاري نلعب دائماً في الحديقة الصغيرة ونقوم بالنزهات في ليهاي باركواي ونطفىء الشموع المضاءة على قوالب الحلوى في أعياد ميلادنا.»

راحت اريكا للحظات تفكر بطفولتها وبمنزلها. ان سنوات عمرها الطفولي قد قضتها مع الخدم والمربيات أو مع بنات اخريات من عمرها من عائلات ثرية مثل عائلتها. ثم تابعت طفولتها لسن المراهقة في المدارس الداخلية الرفيعة الشأن.

«تبدو طفولتكما جميلة.» قالتها وهي تعني ما تقول.

«نعم بدت جميلة.» وافق غايب مبتسماً لها ولذكرياته الحلوة وتابع: «عندما كان غاري في التاسعة من عمره اكتشف لعبة التزلج على الجليد. كان مغرماً بها وكان جيداً بأدائها. عندما أصبحت في آخر سنة في جامعة الفن كان غاري يعيش بعيداً عن المنزل معظم أيام السنة يتدرب على التزلج مع أستاذ كان بطلاً في هذه اللعبة في فيرمونت.»

أجابت: «نعم لقد رأيت الصور وكذلك قطع من الصحف التي كتبت عنه والملصقة في ألبوم الصور الموجود في غرفة والدتك. وحسب ما قرأت في الصحف كان الحكام معجبين بأسلوب لعبه.»

اختفت ابتسامة غايب وهو يقول: «ثم توفي والدي وبدا وكأن حلم غاري سيموت مع والدنا.»

شعرت اريكا بالحرج والخجل معاً. كانت تعلم إلى ما ستنتهي عليه القصة، لذا قاطعته قائلة: «غايب لا داع لتتابع كلامك. أنا أعلم الآن كم كنت مخطئة بالحكم عليك.»

نظر غايب إلى البعيد وكأنه ينظر إلى الماضي وقطب حاجبيه ثم تابع حديثه: «إن الاستاذ غارفي قال لي حينذاك بأنني أحمق لو تركت دراستي الفنية. أحمق إن ضحيت من أجل أخ طموحه بالثلج. وكان يردد على مسمعي هذا الكلام لأنه كان معجباً بعملي.»

قالت اريكا ترد عليه: «إن الاستاذ كان يهمه أمرك وأمر موهبتك ولا يهمه أمر شقيقك غاري، فأنت تلميذه وليس غاري.»

أجابها: «نعم أعلم، لكن يستلزم المرء العديد من السنوات حتى يصبح فناناً شهيراً في عالم الفن بينما ناسخ الصور يجني مالاً وفيراً أيضاً.»

حبست اريكا دموعها. ان غايب قد تخلى عن مستقبله الباهر حتى يساعد أخيه لا بد أنه أحبه كثيراً. لم تتذكر اريكا بأنها قامت بأية تضحية من أجل شقيقتها مريديث لا سيما وأن الأخرى لم تطلب شيئاً منها بتاتاً.

«كان عليك مشاهدة وجه أمي في الأمسية التي ربح فيها غاري الميدالية البرونزية.»

حدق بها وتابع: «أتعلمين اريكا، أنا لو عدت بالزمن إلى الوراء لن أغير ما قمت به ولا شيء فيه. سوف أنجح في مجال الفن وأصبح أهم فنان في العالم. لقد بدأت الآن وماندي ليست بحاجة ماسة لي طيلة الوقت.»

أحنت اريكا رأسها بين يديها وهي تفرك عينيها. إن

انطباعها الأول عن غايب لوغان لم يكن خاطئاً. إنه رجل جيد. لقد تخلى عن أحلامه من أجل أخيه ليس مرة واحدة فقط بل مرتين. وكل ما استطاعت أن تعمله هو اتهامه بالجبن. شعرت بأنها قاسية. لكنها لم تكن بدون أمل. انها اريكا فلتشر مديرة شركة اف . دبليو لها اتصالاتها مع أصحاب المعارض الضخمة في العالم أجمع. إنها تستطيع مساعدته حتى يعوض عن تلك السنوات الضائعة، فقط إن سمح لها بذلك، عليها أن تفتح له باب النجاح وهي تستطيع أن تقوم بذلك. بدأ قلبها يخفق فرحاً نظرت إليه فرأت علامات الادراك على وجهه. إنه لم يأت زاحفاً إليها عندما توفي أخيه راجياً أن تأخذ منه ابنة أخيه حتى يتسنى له القيام بعمله. ولا قبل منها مقايضة الطفلة بالمال. إنه رجل شهم ذو كرامة. رجل طيب وشريف.

و... إنها تحبه. هي اريكا فلتشر قد وقعت بحب رجل لم تعرفه سوى منذ اسبوعين. إنه أمر لا يصدق.

«حسناً.» قال غايب ذلك مقاطعاً أفكارها. في اللحظة التي أرادت بها البوح عن مشاعرها: «إنه دورك.»

قالت متعلثمة: «أنا... أنا.» وبدأت بالبحث عن الكلمات التي ستقولها: «أنا أود أن أعلم إن كنت ستقوم بشواء قطع اللحم عند المساء غداً. إنه الرابع من شهر حزيران (يونيو) كما تعلم والمطعم الذي يجلب لنا عشاءنا مقفل.»

وعندما حدق بها متسائلاً هربت ودخلت إلى غرفة الغسيل.

كانا يحترمان بعضهما كثيراً خصوصاً بعد الحادثة التي حصلت في مكتبه. كانا يوجهان حديثهما إلى ماندي أو يتكلمان عن الطقس أو عن المباراة. أي شيء ما عدا ما يجول في خاطرهما أو في قلبهما.

يوم الاربعاء قرر غايب أن يخبر اريكا بأنه سيمضي النهار في لعبة غولف مع صديقه القديم وعليها أن تأخذ ماندي إلى موعد طبيب الأطفال لوحدها.

«إن الموعد الساعة الرابعة. الطبيب هالوران رجل طيب سوف تحبينه.» أخبرها بذلك وهو يرفع عدة الغولف على كتفيه ويتجه نحو الباب: «لقد اتصلت وأخبرت الممرضة أنك ستحضرين ماندي لا تقلقي على شيء.»

كان دائماً يسمعها بأنه يثق بها وبأنها لن توضب حاجيات ماندي وترحل بها بعيداً إلى فيلادلفيا عندما يرحل.

«سوف انتبه إليها.» وعدت غايب بذلك وهي تسير معه إلى سيارته.

أجابها قائلاً: «أنا أعلم ذلك.» وفتح مؤخرة السيارة ليحضر مقعد ماندي ويعطيها اياه. «سوف أضع هذا المقعد في سيارتك، هل تعلمين كيف يعمل؟»

نظرت اريكا إلى مقعد الطفلة وهزت رأسها. ان لديه العديد من الأحزمة. لكنها قالت: «سوف أتدبر أمري.» مؤكدة له الأمر.

كان يعلم أنها ستدبر أمرها. إنها امرأة يعتمد عليها وهذا هو السبب الذي جعله يقع في حبها بأسرع مما كان يظن. انتهى من وضع عدة الغولف وبدا متوتراً: «حسناً لقد

انتهيت.» فتح ذراعيه: «ألن تودعيني وتتمنين لي حظاً سعيداً.»

ابتسمت اريكا وأجابته: «أنت تبدو وكأنك ذاهب للحرب، تذكر أنها فقط لعبة.»

اقترب منها واضعاً يده على كتفها وهو يعلمها: «لن تقولي ذلك لو علمت من هو جيم ماثيو الذي سألعب ضده. إنه لاعب محترف سوف أكون محظوظاً إن عدت حياً إلى سيدتيّ منزلي.»

احمر وجه اريكا من كلماته التي أعجبتها سيدتيّ منزله. وقالت له: «في هذه الحالة علي أن أتمنى لك الحظ.» ونظرت إليه لترى عينيه الزرقاوين تلمعان بخبث.

«كنت آمل أن تقولي ذلك.»

عندما أرجع السيارة وقفت اريكا تراقبه وقلبها ينبض بقوة وهي تحلم أحلاماً جريئة.

• • •

«آه أماندا يا حبيبتي توقفي عن البكاء أرجوك، لا تبك أرجوك حبيبتي.»

كانت الساعة السابعة وقد كانت ماندي تبكي منذ أكثر من ساعة. قالت الممرضة لاريكا أن الطفلة ستنزعج من لقاحها الثاني وانها ستبكي من الألم. كل ما فعلته اريكا لم يرضِ ماندي كانت تهز لها وتحملها تقدم لها الرضاعة وتغني أيضاً، لكن أماندا استمرت بالبكاء حتى فقدت اريكا رشدها.

لقد وصل عشاءها منذ ساعة وما زال على مائدة المطبخ

كما هو دون أن تلمسه. من المستحيل أن تأكل وماندي تبكي على كتفها.

كانت تسير ذهاباً وإياباً في غرفة ماندي وتشتم غايب على تمضية اليوم مع صديقه تاركاً إياها لوحدها مع الطفلة. كم تمنت أن يعود ليساعدها. لكن... لا، قالت لنفسها فيما ماندي تتابع البكاء، إنها لا تريده أن يعود إلى المنزل الآن ويراها عاجزة هكذا مع الطفلة. لم تكن حتى لديها حرارة يعني لم تكن مريضة. إنما فقط بسبب اللقاح الذي أخذته. ربما بعد ساعات قليلة سيعود كل شيء كما يجب وتتوقف عن البكاء. لقد أعطت الطفلة دواء قد وصفته لها الممرضة ليسكن آلامها. لم تترك شيئاً تفعله إلا وقامت به، فقط لتجعل الطفلة مرتاحة ولتنام. حتى انها استعانت بالكتاب الذي اشترته عن تربية الاطفال والذي يشرح بالتفصيل عن هذه الحالة، وقد قرأته اريكا عند وصولها. كان صوت نشافة الغسيل يعلن أن حفاضات ماندي قد جفت لكنها تجاهلتها.

خرجت إلى خلف المنزل حتى تنظر ماندي إلى الورود الحمراء ولكنها لم تعني لها شيئاً تابعت بكاءها وتابعت اريكا سيرها. عندما أخذ الدواء مفعوله وهدأت أرضعتها رضاعتها، ثم جلست اريكا على مقعدها الهزاز في غرفة ماندي المظلمة وحملت ماندي على كتفها وأخذت تهز بها حتى هدأت ونامت.

كان الوقت متأخراً عندما عاد غايب إلى المنزل. لم تكن الأضواء منيرة لا خارج المنزل ولا داخله. كان الظلام الدامس يعم المكان.

ارتعب للحظة ولكن سيارة اريكا موجودة في الكاراج.

غضب من نفسه لأنه شك للحظة بأمانتها. فتح باب المنزل الذي لم يكن مقفلاً وسار إلى الداخل على رؤوس أصابعه منادياً اسم اريكا وهو يتقدم نحو غرفة الجلوس. لمس شاشة التلفزيون فوجدها باردة. إنها الساعة الحادية عشر فقط لم تزعج نفسها بانتظاره لتسمع الأخبار عنه، لقد غلب منافسه جيم ماثيو. دخل إلى المطبخ وأشعل الضوء ليأخذ علبة عصير من البراد كان ما يزال عشاءها على الطاولة غير مفتوح: «ما الذي يحدث؟» سأل نفسه ولاحظ رضاعتي الحليب غير الفارغتين موضوعتين على جانب المجلى. بدأ يشعر بالقلق، إن اريكا لم تكن تترك الرضاعات هكذا كانت دائماً تغسلها بالماء البارد وتتركها قبل أن ينشف الحليب فيها. في الواقع كانت سيدة منزل ممتازة منذ قدومها.

ربما حصل طارىء معهما مما استدعى طلب سيارة اسعاف، لهذا سيارة اريكا ما زالت في المرآب. بحث في المطبخ عن ورقة مكتوب عليها شيء لكنه لم يجدها. أخذ يلوم نفسه على خروجه لوقت طويل وذلك ليلعب لعبة سخيفة، وركض نحو غرفة الطفلة. ان اريكا لم تمضِ سوى اسبوعين تهتم بالطفلة وها أنا أتركها معها للمرة الأولى. لم يكن عليّ المغادرة... لو حصل أي شيء لهما لن أسامح نفسي أبداً.

توقف عند مدخل الغرفة فجأة وبدأت عيناه تعتادان العتمة. ثم نظر إلى الداخل ومما رآه جلب الدموع إلى عينيه... دموع الراحة.

كانت اريكا تجلس في المقعد الهزاز وذراعيها تلفان

الطفلة بحماية وكانتا نائمتين رأس اريكا على جانب واحد يدل على عدم راحتها وتعب رقبتها. هز رأسه وتقدم ليأخذ الطفلة منها ويضعها في سريرها.

عندها تذكر شيئاً لم يكن عليه نسيانه. إنه وقت تناول اللقاح وهو يعلم تماماً ماذا يحل بماندي عندما تأخذه. الشهر الماضي اتصل بالطبيب ليخبره كيف تصرفت بعد تطعيمها، كيف نسي موعد اللقاح اليوم؟ عاد إلى المقعد لينظر إلى اريكا التي كانت نائمة وذراعيها ما زالتا على نفس الموقع كأنها تحمل الطفلة. قال لها بهمس وهي ما تزال غافية: «لقد مررت بيوم قاس يا حبيبتي أليس كذلك؟ أنا متأكد أنك نعتني بكل الصفات القاسية الليلة بينما كنت تهتمين بابنتنا الصغيرة.»

بإبنتنا! وهز رأسه. منذ متى كان يفكر بماندي كطفلتهما. كأن اريكا فلتشر سترضى بالزواج منه. إنه ليس سوى عثرة في طريقها لحضانة ابنة أختها. لكنها لا تبدو له كإمرأة أعمال ناجحة الآن وهي نائمة بهذا الشكل، أو امرأة قوية مثلما كانت تبدو منذ وصولها يوم حاولت أن ترشو المسؤول في السوق. إنها تبدو الآن ضعيفة، دافئة إنسانة ناعمة. إنها تبدو جميلة ومحبوبة.

حملها بين ذراعيه وسار بها عبر الممر إلى غرفة والديه ووضعها على السرير. ثم وضع عليها غطاء ناعماً كان على السرير. كان ضوء القمر يملأ الغرفة ويضيء وجهها وشعرها. أخذ خصلة من شعرها بين يديه وشعر كم كان كثيفاً ولامعاً، ثم رفع رأسها ليضعه على وسادة. لم يكن يريدها أن تنام غير مرتاحة.

بلع ريقه بصعوبة ثم قبلها من جبينها وتراجع ليقف عند نهاية السرير محدقاً بها بحنان.

أخيراً عاد إلى المطبخ وإلى علبة العصير التي تركها على الطاولة: «لا بد وأنني مجنون.» قال لنفسه ذلك عندما جلس قبالة شاشة التلفزيون وأمسك جهاز التحكيم. لا بد وأنني مجنون وهذه الليلة ستكون طويلة وقاسية عليّ.

الفصل السابع

استيقظت اريكا على صوت زقزقة العصافير خارج نافذة غرفة نومها، فتحت عينيها ونظرت حولها في الغرفة وشعرت بأمان وكأنها في منزلها تماماً.

ابتسمت ببطء وهي تمدّد جسمها وترفع يديها فوق رأسها، كانت تشعر براحة عظيمة نضرة ومتجددة، في الحقيقة لم تتذكر انها ارتاحت منذ وقت. ليس منذ أن قدمت إلى منزل غايب وماندي. ذاك الرجل القوي العنيد والطيب القلب غابريال لوغان الحبيب والعزيزة أماندا.

الطفلة! جلست مستقيمة في سريرها وأدركت اريكا أنها ما زالت مرتدية نفس ثيابها التي ارتدتها بالأمس. عادت بها ذاكرتها بلمحة بصر إلى الطفلة المريضة التي كانت نائمة بين يديها. أسرعت لتتناول الساعة بجانب سريرها، مع وجود ماندي في المنزل لم يكن من داع لضبطها، لقد كانت الحادية عشرة!

«آه، لقد نمت أكثر من المعتاد.» نهضت من سريرها بسرعة وتناولت منشفتها من الخزانة بسرعة وفستانها القطني الليموني اللون. أسرعت إلى الحمام لتستحم ارتدت فستانها وغسلت أسنانها دون أن تجفف نفسها جيداً.

خلال عشر دقائق كانت في الصالة حافية القدمين وأنفاسها منقطعة ثم اتجهت إلى المطبخ. كانت تعلم أن غايب مهتماً بماندي ولكن كان يقوم بعملها ولم يكن ذلك

مدوّناً بالعقد. ماذا لو قال لها انها غير ملائمة للوصاية على إبنة أختها؟ لقد سرقها النوم ولكن أن تترك طفلة تبكي لوحدها في غرفتها! في سريرها لوحدها! ولكن كيف انتقلت أماندا لوحدها إلى السرير وكيف استيقظت في سريري؟ لا بد وانه غايب. رددت اسمه بتعاسة، لقد غفوت مع ماندي على المقعد الهزاز وهو نقلني إلى سريري. آه، لقد اخطأت يا ايريكا فلتشر، لقد أفسدت كل شيء يا ايريكا هذه المرة.

عادت إلى غرفة الطفلة ولكن مهدها كان فارغاً وبدون شرشف وغطاء. «إنه رجل كفوء وذكي، ولكن أين أماندا؟ إنه وقت طعامها. اتجهت نحو الحديقة خلف المنزل لترى إن كانا هناك يلعبان على الحشيش. ولكنها لم تجدهما هناك. عندما وصلت إلى غرفة الجلوس كانت ايريكا مرتعبة وخائفة، لقد اختفيا من دون أن يترك لها ورقة ليشرح غيابهما.

هل ساءت حالة ماندي في الليل؟ هل كانت حقاً مريضة وليست منزعجة من اللقاح وحسب! هناك شيء، لا بد وأن هناك شيء قد حصل.

أخذت تروح وتجيء في الغرفة متوترة الأعصاب: «أنا أشعر بأن هناك خطأ ما. إن حصل شيء لماندي لن أسامح نفسي أبداً!»

صوت السيارة المقتربة من المنزل والتي توقفت أمامه جعل ايريكا تركض إلى باب المدخل، لقد كان غايب. هدأت أعصابها عندما رأته ينزل من السيارة ويحمل الطفلة معه. راقبتهما وهما آتيان نحوها. ماندي في يدٍ وكيس من الورق في اليد الأخرى. ذهب ليتسوق! لقد ذهب الرجل

للتسوق؟ وهي تكاد تموت من القلق وها هو يدخل المنزل دون أن يشعر بما قام به ذلك القروي.

قال: «انظري يا ماندي، أخيراً استيقظت الخالة فلتشر لتجتمع بنا، صباح الخير اريكا أو هل أقول مساء الخير.»

قالت مستهزئة به: «كم أنت مضحك سيد لوغان، أين كنت؟» سألته ذلك وكأنها تتهمه.

ابتسم لها ابتسامة شريرة: «هل افتقدت لنا؟ آه انك اشتقت إلينا، أستطيع أن أقول ذلك. من افتقدت إليه أكثر أنا أو ماندي؟»

«مستحيل أن تكون أنت.» صرخت به وتمنت لو أنها تعلمت دروس الكاراتيه حتى تضربه وتوقعه أرضاً.

أجابها: «نعم، أنا أعلم أن من المستحيل أن تشتاقي إلي، ولكني تعودت أن أتحملك.»

أجابته: «ألا تعلم أنني كنت قلقة عليكما؟ اعطني الطفلة قبل أن تقع من يديك.»

قال: «لقد أخذت ماندي معي إلى السوق حتى أشتري بعض اللحم.» ناولها الطفلة وهو يبتسم: «لم أشتر سلامي ولكن بعض صدور ديك الحبش، لم أجد الخبز الأبيض الذي تحبينه فاشتريت خبزاً أسمر كما اشتريت بعض الكبدة هل تحبين الكبدة؟»

قالت: «إذا كانوا يبيعونها نيئة حتى أضربك بها.»

انفجرت ايريكا من برودته وأخذت تقبّل ماندي قبلات سريعة.

كشر غايب وأشار إليها بإصبعه: «هذه الجملة لم تكن جميلة.»

«جميلة! هل تعلم كم كنت قلقة؟ ألا يمكنك ترك ورقة لتخبرني أين ذهبت؟ لماذا لم توقظني هذا الصباح؟ ومن قال لك ان تحملني ليلة أمس إلى سريري؟ أنت حملتني أليس كذلك؟»

فتح غايب باب الثلاجة ونظر إلى اريكا: «تريدينني أن أرد على جميع تلك الأسئلة يا ايريكا. أنت تبدين كالشرطي. الحقائق يا سيدتي فقط الحقائق. اهدئي قليلاً قبل أن تؤذي نفسك.»

قالت له: «أدخل رأسك في الثلاجة واجلب رضاعة لابنة أخيك.» أمرته اريكا من خلال أسنانها متسائلة كيف تقع بحب هذا النوع من الرجال: «هذا إن كنت تذكرت أن تنظف الرضاعات صباحاً، لقد استعملت رضاعة اضافية ليلة أمس. كانت تبدو ماندي جائعة.»

«هاك زجاجة رضاعة. لقد نظفت الرضاعات هذا الصباح بينما كنت تنامين وتحلمين أحلاماً سعيدة.»

قالت: «اعتقد أنك تريدني أن أقدم إليك ميدالية.»

عندما مدت يدها لأخذ الرضاعة أمسك بيدها وقال بلطف: «خففي عنك يا حبيبتي. إنه ليس ذنبك لو غفوت. مما لاحظته أمس في الليل عندما وصلت المنزل أنك أمضيت وقتاً عصيباً وقاسياً لذا تركتك تنامين لترتاحي، وهذا عدلاً بعدما أمضيت نهار أمس مع اصدقائي.»

سحبت اريكا يدها منه وهي تحبس دموعها: «آه، فعلاً ستكون طيباً معي الآن.» اتهمته وهي تكره نفسها لتصرفها السخيف معه: «أنت تسعد عندما لا أتولى الأمور كما يجب أليس كذلك؟ كنت أقوم بواجبي على أحسن وجه وأنت

تعرف ذلك، لقد حاولت جهدي ولكن عند مواجهتي لأية مشكلة أقع مستسلمة أمامها.»

أجابها: «سوف أعزف لك لحناً مأساوياً...»

قالت: «اخرس.» ورمت نفسها على مقعد بجانبها.

أصبحت الزجاجة دافئة لماندي بعدما وضعها غايب تحت الماء الحار لذا ناولها لإيريكا التي أخذتها دون أن تشكره.

قال وهو يجلس على الطاولة: «هل تعلمين ما هي المشكلة معك يا ايريكا، أنت لا تستطيعين أن تكوني سوى كاملة في كل ما تفعلينه.»

«آه، هل هكذا هو الأمر؟» وحدجته بنظرات ثاقبة من عينيها الخضراوين وهي تطعم أماندا.

«نعم أيتها المرأة المديرة، هكذا هو الأمر. إن المديرة التنفيذية الكاملة قد أصبحت أماً كاملة. لقد راقبتك... راقبت عملك في البيت، ان المكان يشع من النظافة مع أنك حذرتني بأنك لن تقومي بشيء سوى الاهتمام بماندي.»

قالت: «إن المكان الذي تعيش فيه أماندا هو مهم بالنسبة إلي.» رافضة أن تعترف بأنها قامت بذلك فقط لتبعث السرور لغايب لوغان. «ان المنزل كان كئيباً وكل شيء أصبح الآن أفضل مما كان، عليك الاعتراف بذلك.»

رفع يديه مستسلماً: «أنا اعترف. لا أعرف كيف قمت به ولكنه أفضل، لقد اهتممت بماندي وكذلك بالمنزل كأنها دروس جامعية عليك دراستها والنجاح بها. ان حفاضات ماندي تُغسل فوراً ثم ترتب بطريقة اعتقد معها أنك تستعملين المسطرة لطيّها وبدأت اعتقد أنك تغيّرين ملابسها كل ساعة. أنت امرأة مميزة من الطراز الأول.»

بدأت شفة ايريكا السفلى ترتجف مثل عواطفها وأحست بأنها ستنهار. «أنت تعتقد أنك تعرف كل شيء أليس كذلك؟ إذن دعني أقول لك أنت مخطىء.» واستدارت بنظرتها بعيداً عنه.

ولكن غايب لم يفهم ما قصدته ايريكا. لذا تابع كلامه وهو يؤرجح قدميه: «مخطىء، آه نعم. فقط انظري إلى المكان!» وأشار إلى المطبخ: «تعالي ايريكا والقي نظرة.»

استدارت نحوه: «انه مطبخ، إذن ماذا؟»

أجابها: «سوف أوضح لك، هناك ستائر على النوافذ، صحيح أنه أمر بسيط ولكنك قمت به والخزائن كلّها نظفت ورتبت أغراضها كما تحبينها أنتِ. لقد استغرقت أكثر من عشرين دقيقة حتى أجد علبة السردين التي اشتريتها ذاك اليوم.»

قالت: «في علبة السردين زيت، ولا يجب أن تأكل منها كثيراً.»

أجاب: «ان اهتمامك لعدم وجود دهن في دمي لا بأس به. سوف انتقل إلى موضوع آخر، غرفة الجلوس.»

«ما بها غرفة الجلوس؟» نهضت ايريكا لتضع ماندي في مهدها.

نزل غايب عن الطاولة ولحق بها: «انها مرتبة ونظيفة، هذا هو ما بها.» كان يصرخ حتى أنه كاد أن يوقظ الطفلة. ثم تابع بصوت منخفض: «كثيرة الترتيب.»

بعدما وضعت ايريكا ماندي في غرفتها لتنام عادت إليه واستدارت لتواجهه ويديها على وركيها، نظرت إليه من رأسه إلى قدميه ثم ابتسمت له: «كثيرة الترتيب؟ لماذا لا

تقول ما الذي تريده. أنا أسمع وأطيع يا سيدي، أستطيع أن أدبّر الأمر!»

«الآن أين تذهبين؟» سألها غايب بينما كانت مسرعة نحو الصالة إلى غرفة الجلوس. «توقفي.»

«مرتبة كثيراً أليس كذلك؟» وداست على كومة صحف كانت قد رتّبتها قبلاً وبعثرتها ثم أعادت الضوء إلى مكانه المزعج ثم عادت إلى الكنبة ورمت بالوسائد على الأرض وعلى وجه غايب الذي تلقى اثنتين اما الثالثة والرابعة فأتت على أنفه.

قالت: «اعتقد أنه لا تعجبك طريقة ترتيبي للكتب أيضاً.» ودون أن تنتظر الجواب من غايب الذي وقف في وسط الغرفة مشدوهاً وفاتحاً فمه أخذت تضع الكتب على الأرض وتفرغ الرفوف منها: «هكذا تحب غرفة جلوسك يا سيد لوغان.» استدارت لتتابع عملها عندما أمسك غايب بيدها ليهدئها.

قاومته ولم تجد نفسها إلا وهي معه على الكنبة. قاومت قوة ذراعيه للحظات ثم أرخت رأسها على الوسادة منهزمة كلياً قبل أن تقاومه فعلياً. تنفست الصعداء وسألته: «هل عندك فكرة، أدنى فكرة ما يستلزم للحصول على منزل مرتب ونظيف وأنت رجل لئيم ومسؤول عن طفلة؟ هل عندك فكرة؟»

هز كتفيه وأجاب: «أنا لم أطلب منك أن تكوني سيدة منزل سعيدة.»

قالت: «كلا لم تطلب مني ذلك.» وحدقت بالسقف تتذكر اليوم الذي ربطت به كيس مخدة قديم في أعلى المكنسة

وأخذت تنظف الأسقف والجدران به: «لقد أمرتني أن انتقل إلى هنا وأن أبرهن لك ان باستطاعتي الاهتمام بأماندا ولكنك تحديتني بشيء آخر.»

نظر غايب إلى وجهها وسألها مندهشاً: «أنا تحديتك؟ ما هو ذاك التحدي؟»

«يبدو أنك لا تتذكر، لقد قلت إن الشخص لا يطلب من الآخر ليقوم بعمله إن كان يستطيع هو أن يقوم به.»

قال: «دوري الآن.» وأغلق فمها بكفّه للحظة حتى تنتبه له: «أنا لم أقل ذلك كما أتذكر، إنك لم تدعيني أتفوه أكثر من بضع كلمات في لقائنا الأول، أنت تجعلينني أبدو كالحيوان.»

هزت رأسها وواجهته: «لقد جعلتني أفكر، لا أكلمك عن الشركة لأن والدي قد وضعني في مكتب دون أن اسعى إليه بتعبي. أنا أعلم كل أنواع الوظائف التي تقوم هناك السيدة جيمس مديرة منزلي، انها امرأة كفوءة ولكنها الوحيدة التي بقيت لي من والدي. أنا لا أعرف شيئاً سوى الشركة وعملي. كيف لي أن أبدل السيدة جايمس أو أي من الخدم إن كنت لا أعرف كيف أقوم بعملهم بنفسي؟»

«أي من الخدم؟ كم تقدّر ثروتك بالضبط؟»

هزت رأسها كأنها لم تسمع سؤاله وتابعت: «على كل حال لقد قررت طالما أنا أمكث هنا أن أتعلم شؤون إدارة المنزل بالوقت الذي أهتم فيه بأماندا.»

«كما قلت شخصية من الطراز الأول، ولكني لا أفهم سبب غضبك. أنت ماهرة مع ماندي لست بحاجة لأن أقول لك هذا. المنزل يبدو عظيماً ونظيفاً، أنت تحضرين أشهى الفطور

والغداء. لقد تعلمت القيام بالكثير من الأمور المنزلية بمدة اسبوعين أفضل مما كنت أقوم به لعدة سنوات. حتى أنك تجدين الوقت لتنامي تحت أشعة الشمس كل صباح لنصف ساعة. لو كنت امرأة لشعرت بالغيرة منك على مهارتك.»

سحبت اريكا نفسها من جانبه لتجلس مستقيمة على الكنبة: «أيها الرجل الأحمق... تقول عملي بسيط، بالطبع يبدو كذلك، بالنسبة إليك ليس لديك أدنى فكرة عما افعله كي اصبح سيدة منزل ماهرة أليس كذلك؟ وهل تعلم لماذا؟»

حاول ألا يضحك وهو يجيب:

«كلا ايريكا، لا أعلم لماذا ولكن اعتقد انك ستقولين لي.»

عادت الدموع إلى عينيها: «لأنّ كل ليلة بعدما اتأكد من أنك نائم أنهض وأمسح الغبار وأرتب المنزل وانظف زجاجات الرضاعات حتى تعتقدني أماً صالحة. حتى انني بدأت قراءة كتب الطبخ ليتسنى لي طهو العشاء في الليل. هذا هو الأمر ايها السيد! الآن ابتعد عني لأنهض عن هذه الكنبة اللعينة.»

لكن غايب لم يتحرك. بقي متمدداً على الكنبة وهو يفكر. ان ايريكا قامت بكل هذا تتأخر في النوم ليلة بعد ليلة، تنظف البيت وتتعلم الطبخ وكل ذلك من أجله. كان يجدر بها الاهتمام فقط بماندي ثم الجلوس لتناول الحلوى عندما تنام الطفلة، ولكنها لم تفعل ذلك، لقد قامت بتلك الأعمال حتى تستحوذ على رضاي.

لقد قالت له انها أرادت أن تتعلم إدارة شؤون المنزل فقط، ولكني لا أصدقها ومن المؤكد انها لم تفعل ذلك من أجل ماندي. شعر براحة مع نفسه وعرف انها قامت بذلك من أجله.

قالت: «هل ستدعني أنهض الآن أم أنك ستبقى طيلة النهار متمدداً على الكنبة مثل الدب.»

اختفت ابتسامة غايب حين نظر إليها وقال: «اريكا، أنا أشكرك.»

صرخت اريكا بصمت، إنه يعلم بشعورها وأرادت أن تهرب وتختبىء. انه يعلم كل شيء لماذا لا أطبق فمي الكبير؟ اغمضت عينيها وأدارت رأسها بعيداً عنه. كانت تشعر بحرارة جسمه وهو يضع يده اليمنى على خصرها. عندما لامست شفاهه جانب رقبتها كادت أن تفقد عقلها. قالت لنفسها، عليّ أن أنهض عن تلك الكنبة، أن أذهب من هنا قبل أن أفقد السيطرة على نفسي كلياً. أخذت نفساً عميقاً وأدارت رأسها لتواجهه. لقد حان الوقت لتعيد إليه صوابه قبل أن يقدما على شيء خطير. شيء يغيّر علاقتهما إلى الأبد.

لو كان هدفها الهرب لما قامت ايريكا بغلطة أكبر، حين احاطها بين ذراعيه مهدماً كل اعتراض كادت تقوم به ومهدماً كل قدرتها على التفكير.

أمسكت اريكا رأسه بين يديها وراحت اصابعها تداعب أذنيه ثم شعره.

«آه ايريكا.» لفظ غايب اسمها وهو يدفن وجهه في شعرها.

رفع رأسه ونظر في عينيها سائلاً: «ايريكا؟» ثم همس بصوت مبحوح: «هل تعلمين ماذا تفعلين؟ هل تعلمين ماذا تريدين؟»

كانت عيناه شديدتا الزرقة مثل مياه البحيرة العميقة.

شعرت بأنها تستطيع أن تسبح فيهما وتغرق أيضاً. ثم دفعته عنها بلطف: «آه نعم غايب أنا أعلم ما أريد.»

* * *

كان المنظر خلاباً. الأرض المغطاة بالحشيش الأخضر والأشجار المتدلية الأغصان وأشعة الشمس الساطعة تنشر نورها هنا وهناك وأمامها عدة بجعات تسبح في البحيرة تأكل فتات الخبز التي رمتها لها ايريكا. كان الناس يجلسون على ضفاف النهر ليتأملوا المناظر البديعة الخلابة.

كانت ماندي مستلقية على بطنها على الغطاء الناعم وعمّها متمدد بجانبها. أما ايريكا فلقد كانت جالسة بالقرب منهما مرتاحة وقد ظهرت رائعة الجمال. كان صوت غايب حنوناً وعطوفاً عندما قال لها: «إن ابنتنا الصغيرة تبدو سعيدة.»

أعادت ايريكا كلامه: «ابنتنا الصغيرة.» وتابعت بصوت متنهد: «ان هذا لرائع.»

وافق غايب على كلامها ورفع يده ليلامس ذراع ايريكا. كانت دافئة وناعمة ولم يعد هناك من حواجز بينهما. كان نقاشهما الحاد في غرفة الجلوس آخر ما قاما به من مناقشة.

لقد أمضيا الثلاثة أيام والليالي الماضية بسعادة وهناء مع ماندي. وقد كانوا في غاية السعادة مع انهم لازموا المنزل ولم يخرجوا منه بتاتاً لأن الطقس كان ماطراً. أعادها إلى الواقع حركة من غايب وهو يستدير على ظهره

ويغمض عينيه. انحنت عليه ايريكا لتنظر إليه: «غايب؟ لا تقل لي انك ستنام.»

مدّ يداً ليمسك بكوعها ويسحبها لنحوه: «أنام؟ لا اعتقد اني أتذكر معنى هذه الكلمة.»

«يا لذكائك؟» تمددت بجانبه وتابعت: «وماذا عساي أن أفعل وأنت ابقيتني مستيقظة طيلة الليل تتحدث عن أيامك في الجامعة.»

أجاب وهو يداعب شعرها: «هل فعلت ذلك؟ على ما اتذكر أننا لم نسهر كثيراً، هل تتذمرين؟»

قالت: «كلا بالطبع لا، الآن ابقى متمدداً وحاول هضم الشطائر التي أكلتها، لقد تناولت شطائر تكفي لإغراق سفينة.»

أطاعها غايب ناظراً إلى السحب محاولاً ايجاد بعض الأشكال كما كان يفعل عندما كان طفلاً. انه يتذكر قدومه إلى هذه البقعة في الماضي مع عائلته. كان هو وغاري يتمددان في نفس المكان يشيران إلى السحب وكأنها أحصنة وجنود كلما عبرت. لقد بعثت الذكرى بعض الراحة في نفسه ودون أن يشعر بألم. ابتلع ريقه بصعوبة مدركاً ان الانسان لديه دائماً آلام. لكنه الآن يحس أن جرحه الكبير وحزنه على موت غاري قد شفي.

أدار وجهه نحو اريكا وسألها: «هل تعتقدين أن ما تتفوه به ماندي من لفظة أولى ستكون بابا؟ اعتقد أنها سهلة اللفظ من غيرها.»

أجابت: «أحد الكتب التي قرأتها عن تربية الأطفال تقول انه أبسط لفظ يتفوه الطفل به، ماما تأتي لاحقاً مع

أنها تستعمل من قبل الأطفال دائماً عندما يرغبون بشيء.»

حدّق غايب بالسحاب مرة ثانية وقال: «سأحب كثيراً أن تناديني ماندي دادي، بابا، هل تعتقدين أن غاري يمانع! أقصد سوف أبقي غاري حياً في ذاكرتها وأخبرها قصصاً عن والدها الحقيقي وأبقي صورته ولكن...»

قاطعته اريكا: «ولكنك ستشعر وكأنك والدها.» انهت جملته وأسندت نفسها على مرفقيها لتنظر إليه. وانسدل شعرها على وجهها: «أنا أعرف شعورك لأنني أشعر نفس الشعور مع انني لم أكن معها منذ ولادتها. كنت دائماً اعتقد كوني المديرة التنفيذية للشركة، ان هذا اللقب رائع، أما الآن اعتقد كوني أماً هو أعظم لقب في العالم، إنه لمضحك كيف أن طفلة صغيرة استطاعت أن تغيّر مجرى حياتنا.»

تنفس غايب الصعداء وفكر ان عليه التكلم الآن أو لا يتكلم مطلقاً. وقال: «ان الامهات والاباء يعيشون معاً... على الأقل كما أفكر، كما ان الأمور تكون أفضل على هذا النحو.»

لمعت عيناها الخضراوان وقالت موافقة: «نعم.»

قال: «نعم، ماذا؟» سألها ذلك وقلبه يخفق بسرعة البرق. شعر أنه أسرع بالسؤال وطرح هذا الموضوع ولكن هذا الأمر منطقي: «نعم كأنك توافقيني على تفكيري هذا؟ نعم ستعيشين معي وستظلين حبيبتي؟ أنا أحبك وأنت تعلمين هذا حتى عندما تكونين مزعجة.»

«مزعجة؟ متى كنت مزعجة؟» سألته ايريكا وهي تفكر باقتراحه مندهشة.

قال: «أنا لا أكذب أو أمزح بهذا الكلام مطلقاً، لقد أردت

فقط أن اتأكد اولاً من حبك لي، ان الأمر سينجح يا اريكا حقيقة وستكون علاقتنا ناجحة.»

قاطعته قائلة: «تريد أن نعيش مع بعض، ثلاثتنا؟»

راقبها جيداً وهي تتكلم، كان هناك تكشيرة خفيفة على جبينها. قال يريد مداعبتها: «لقد فهمت قصدي جيداً ايريكا لقد نسيت فقط أن اقول لك انه علينا الزواج قبلاً.» وفكر، كما أنها نسيت أن تقول لي: «أنا أحبك أيضاً.» ولكنه لم يرد أن يفتح هذا الموضوع الآن. عليه أولاً أن يجعلها توافق على الزواج منه ومن ثمّ يقول كل شيء.

«أتزوجك؟» بدأت حديثها ببطء: «هناك العديد من الاعتبارات يا غايب، هناك الشركة التي اديرها بالطبع وجميع موظفيني. لا أستطيع العيش ببساطة في بلدة وأدير شركتي الموجودة في فيلادلفيا، كما هناك منزلي وأنا... آه، غايب... نعم!»

الفصل الثامن

كانت الرائحة الجميلة تنتشر في انحاء المنزل من جراء خبز قالب الحلوى على الشوكولا. فقد كانت ايريكا قد اشترت القالب المبرّد الجاهز من السوق ووضعته فقط في الفرن بعد أن أضافت الزيت والبيض إليه كما في التعليمات المكتوبة على العلبة. حتى أنها زينته بالكريما ورسمت وجهاً ضاحكاً عليه.

لقد كان أول قالب حلوى قد أعدته اريكا في حياتها، شعرت بالسعادة تغمرها من جراء ما قامت به. لم تكن قد شعرت بحياتها كلها أنها محبوبة وان أحداً سيكون بحاجة إليها، كم ان الأمر مختلف الآن عن الطريقة التي ترعرعت فيها.

وعادت ذكريات عائلتها إلى مخيلتها، كانت والدتها الجميلة الانيقة دائماً تمضي ايامها في إحياء الحفلات الخيرية وتشاهد المباريات الرياضية وتحضر الكثير من الحفلات. أما والدها فقد رأى فيها فقط حليفته بالعمل وأختها الصغرى التي علمت الآن أنها لم تفهمها أبداً.

لم تكن سوى فتاة جميلة قامت ما بوسعها حتى يتقبلوها بالرغم من محاولاتها لتسعد الآخرين، لم تشعر يوماً إلا بأنها استمرار لشخصٍ ما أو امتداد لأفكار غيرها.

أما الآن ولأول مرة تشعر أنها جزء من عائلة حقيقية هكذا هي الحياة... عائلة سعيدة فقط. غايب يعمل في مكتبه

وماندي نائمة في مهدها بينما هي ايريكا الزوجة تدير كل شيء في المنزل وتقوم بمهمات الأم الحنون.

وقفت بعيدة عن قالب الحلوى لتتأمل ما قامت به وهي تلعق كريما الشوكولا من اصبعها، لم تكن زوجة أو أم حقيقية بعد على الأقل شرعياً ولكن في داخلها كانت تشعر كذلك.

كانت مغرمة عاشقة ولسبب ما لم تعترف بعد بحبها له. ولكنها كانت تشعر بالسعادة لأول مرة في حياتها. ان قصتها كقصص الخيال ولم تستوعبها بعد، كانت تخاف أن تصحو فجأة لتجد نفسها في حلم ولكن لا شيء سيء سيحصل.

لقد حان الوقت للاعتراف لغايب بكل ما تشعر به. رفعت خصلة شعر عن وجهها وأدركت انها تبتسم. انها لا تستطيع التوقف عن الابتسام لقد طلب غايب الزواج منها منذ أربع وعشرين ساعة مضت! وشعرت ان من المستحيل أن تتغير حياتها هكذا في وقت قصير. لقد تحدثا مطولاً في الليل بشأن التحضير لحفل زفافهما الذي سيكون خاصاً ومميزاً وقام بالتخطيط لرعاية ماندي وإبقاءها معه شرعياً. ثم تمشيا إلى غرفة نوم ايريكا ورأسها على كتفه قبل أن يقبلها ويتمنى لها نوماً هنيئاً ثم عاد إلى غرفته.

كانت تتمتم بأغنية حب وهي تقطع قطعة من قالب الحلوى مع أن القالب ما زال ساخناً، وضعتها في صحن وتناولت شوكة ثم توجهت نحو مكتبه متشوقة لتريه ما أنجزت دون أن تدق الباب، دخلت وهي تلوح له بالحلوى.

قال: «آه، إني أشم رائحة شوكولا.» وتسلل امامها لالتقاط الصحن من يدها أعطته الشوكة ولكنه كان قد بدأ بالأكل قائلاً: «انها عظيمة، ماذا عليّ أن أفعل لأحصل على المزيد؟»

انحنت اريكا على طاولة الرسم وهي تشعر بالفخر والاعتزاز: «هل تصدق اني حضرت سلطة القريدس واللحم المشوي كذلك فريز محلى بالكريما للتحلية؟»

ابتلع آخر قطعة من الحلوى ولعق الكريما الباقية على الشوكة ثم أجاب وكأنه يفكر بسؤالها: «كلا، لا اعتقد ذلك.»

أجابته ايريكا: «أنت أذكى مني بكثير، لذا ما رأيك بشرائح البندورة والبطاطا المقلية وقطع اللحم المشوية... ولكنك أنت الطاهي بالطبع.»

قال: «أعتقد هذا ما سأفعله يا امرأة.» وضع الصحن على الطاولة وأحاطها بذراعيه واسند رأسه كأنه متعب.

نظرت ايريكا إليه بقلق بعد أن أحاطته بذراعيها: «أيها المسكين ربما أنت محتاج لتستلقي لبعض الوقت.»

قال: «أنت تعنين ذلك أليس كذلك؟ آه يا ايريكا كم أحبك.» ونظر في وجهها وسألها: «أين هي ماندي؟»

قالت: «استحمت وأكلت والآن هي نائمة في مهدها على الأقل لمدة ساعة من الآن. ويمكنك أن ترتاح خلال هذه الساعة دون أن تسمع صوت أحد.» استدارت نحوه ثم سألته: «هل من أسئلة أخرى؟»

أجابها: «شكراً لك.»

خرجا إلى القاعة في الوقت الذي رنّ فيه جرس الهاتف. قال: «دعيه يرن.»

قالت: «ربما سيبقى يرن ويوقظ أماندا بجانب أنه ربما شخص يحاول بيعنا قطعة أرض في بوكونوس. هل فكرت يوماً بذلك؟»

قال: «فكرت طبعاً، ألا تتذكرين بأنني انتظر دوري؟ تلك الشركات تعمل على الكمبيوتر الآن، هل ستردين على الهاتف أم لا؟ أنا اقترح أن لا تردي.»

رفعت اريكا سماعة الهاتف واعطتها له قائلة: «هيا، قل للمتصل أن يذهب بعيداً.»

أخذ غايب السماعة وقال للمتصل: «هنا مطعم المشاوي آسف اننا مغلقين من الآن لنهاية فصل الصيف.» وأعطاها السماعة قائلاً: «اتصال خاطىء اقفلي الخط.»

قهقهت ايريكا وهي تعيد السماعة إلى مكانها ثم نظرت إلى الهاتف متعجبة إذ بدأ الجرس يرن من جديد: «غايب لقد استسلمت، سأردّ على الهاتف. هنا منزل لوغان هل أساعدك؟»

جاء الصوت: «ايريكا؟ ما الذي يجري؟ من الذي ردّ عليّ سابقاً؟»

كان غايب يسمع الحديث من شدة صوته العالي. كان صوت رجل غاضب وقد ناداها ايريكا.

قالت: «بوب هل هذا أنت؟» وغطت السماعة بيدها وقالت لغايب: «إنه بوب ابرناتي محامي الشركة، إني أتساءل عما يريده؟»

كان غايب يكره بوب ابرناتي مع أنه لا يعرفه. جلس على الاريكة وأخذ يراقب ايريكا وهي تستمع لما يقوله لها المحامي.

أعادت ايريكا: «ميريك اند ميريك؟» وسألته مرتبكة: «هل أنت متأكد؟ أنا لا أصدق ذلك انهم أصدقاء قدامى لوالدي لماذا تعتقد أننا سنكون هدفاً لهم؟ كلا يا بوب هذا ليس صحيحاً!» ثم رفعت عينيها إلى سقف الغرفة وكأنها تعدّ للعشرة: «حسناً، حسناً إنه صحيح، لقد كنت مشغولة في الفترة الأخيرة، لن أستطيع القيام بشيء من هنا سوف أكون في فيلادلفيا...» ثم سكتت لتنظر إلى ساعتها: «الساعة التاسعة هذا المساء، لاقيني في مكتبي مع جميع الأوراق سوف أعمل طيلة الليل إن كان ضرورياً.»

تابعت بعد قليل: «كلا لا أستطيع أن آتي أسرع من هذا.»

اقفلت السماعة بقوة ثم استدارت إلى الحائط تضربه بقبضتها وهي تتمتم بغضب.

قال غايب: «ايريكا؟»

التفتت إلى غايب: «لقد اتصل بوب ليخبرني ان شركة أف ودبليو معرضة للخسارة من قبل بعض الشركات القوية. عليّ أن أذهب إلى فيلادلفيا فوراً.» ثم بدأت شفتها السفلى ترتجف وأسندت رأسها على صدره قائلة: «بوب يقول انها غلطتي.»

أجابها غايب: «من يعتقد نفسه بوب حتى يقول لك ذلك، ان الشركات بأكملها في اميركا تتبع هذا الاسلوب الآن في العمل، لا يحق له أن يلومك انها ليست غلطتك يا حبيبتي.»

تنهدت ايريكا وأحاطته بذراعها: «شكراً على دعمك يا غايب، ولكن للأسف بوب على حق. أولاً كانت رحلاتي إلى الشرق الأقصى كثيرة مع أن كل شيء كان منظماً

والآن موت مريديث، فبعد وفاتها لم اداوم كثيراً في الشركة، وقد كنت على وشك العودة بدوام كامل عندما علمت بوجود أماندا.»

قال: «نعم حسناً، ولكنك لم تكوني في رحلة استجمام على شواطىء الريفييرا، لقد كان عندك مشاكل شخصية وعليك الاهتمام بها.»

قالت: «إن أفراد الشركة لا يهتمون بأمورهم الخاصة، الأولوية للعمل فقط بالنسبة لهم، المدير الغائب ليس رجل أعمال بارع. وشركة ميريك اند ميريك قد استغلت الموقف وقد انضم إليها حتى الآن ثلاثة رؤساء جدد. لقد حاولت اقناع والدي بعدم تورطه مع الناس ولكنه لم يستمع لي. الآن اثنان من اصدقائه القدامى يحاولان أن يستوليا على الشركة وأخذها مني.»

ربت غايب على رأسها وأخذ يداعب خصلات شعرها محاولاً التخفيف عنها: «سوف أذهب إلى فيلادلفيا معك.»

ابتعدت عنه ووقفت في وسط الغرفة وقالت: «إنه شعور محب وبديع يا غايب ولكن كيف ستأتي معي؟ عليك البقاء هنا مع أماندا.»

هز كتفيه: «نستطيع أن نبقى في منزلك مع السيدة جايمس، ان ماندي قد كبرت وتستطيع أن تسافر.»

تلألأت الدموع في عيني ايريكا، كانت تحب أن تصحب معها غايب وماندي ولكن المنطق يفرض عليها عدم القبول: «أنا حتى لن أكون هناك معظم الوقت يا غايب، لقد قال بوب انه علينا السفر إلى نيويورك غداً صباحاً وحتى إلى شيكاغو حتى نقنع بعض افراد المجلس

وبعض المموّلين ليكونوا ركائز مالية، سوف أكون مع بوب ليلاً ونهاراً.»

راقبت عيني غايب تضيقان وقال: «آه فهمت.»

ضحكت ايريكا وهي تمر بيدها في شعرها: «لا تقل لي أنك تغار؟ ان بوب كبير بالسن لدرجة انه في عمر والدي.»

قال: «ولكن ابرناتي يستطيع مساعدتك بينما أنا لست سوى شخص عزيز ولكن غير مُجدي. وأيضاً ماندي. كنت اعتقد اننا سنتزوج.» أدار ظهره لها ومد اصبعه وأفسد وجه قالب الحلوى المبتسم.

لماذا كان يفعل بها هذا؟ إنه يتصرف كالطفل المدلّل الذي أخبرته والدته بأنه ممنوع عليه الخروج للعب. ولكن ماذا عنها؟ كانت ستخبره بأنها تحبه منذ قليل. ألا يكفيها ما تمرّ به من الضغط العملي والمشاكل التي في رأسها دون أن تقلق على تصرفاته وما يقوم به. بدأت تقول: «غايب لن أغيب أكثر من اسبوع أو اسبوعين سوف أتصل عندما أستطيع بالطبع و...»

أجابها: «لا تقومي لنا بخدمات، حسناً ايريكا. إن ماندي وأنا قد تدبرنا أمرنا بدونك من قبل ونستطيع أن نقوم بذلك الآن.» استدار وخرج تاركاً إياها محدقة به بدهشة.

أمضت ايريكا طيلة بعد الظهر مع ماندي وقد حممتها مرة ثانية من شدة الحر. كانت تحب أن تدللها وتضع العطر والبودرة على جسمها. لقد غسلت جميع الحفاضات الوسخة وأيضاً كل الغسيل المتسخ. مع أن ماندي لن ترتدي سوى الحفاض وقميصاً قطنياً داخلياً. لأن غايب سوف يصبح مسؤولاً عنها منذ الآن. وحتى لا يضيّع وقته بالبحث عن علب

الحليب، فقد وضعتها على رف الخزانة في المطبخ ليراها. وجهّزت زجاجات الرضاعة النظيفة بقربها.

عندما نامت ماندي وضَبت حقيبتها واضعة كل بدلة بدقة وترتيب محاولة أن يبقى ذهنها صافياً. أخيراً كتبت ورقة فيها اقتراحات عدة لغايب من أجل الطفلة. كانت الساعة حوالي السادسة عندما انتهت من استحمامها. دخلت ايريكا القاعة وكعب حذائها العالي يغوص في السجادة، كانت رائحة اللحم المشوي تنبعث عبر نافذة المطبخ وتفاجئها. لقد نسيت كل ما يتعلق بالعشاء بتاتاً. أطلّت برأسها إلى المطبخ فرأت غايب يقرأ التعليمات على كيس البطاطا. لقد بدا كعادته دائماً في بنطاله القصير وقميص قطني وقدماه عاريتان ويقف محتاراً في المطبخ.

فكرت بحزن، كم تحبه! كانت تحترق يأساً لاضطرارها إلى مغادرته ومغادرة ماندي ولكن عليها الرحيل. بما أنه مر عليه وقت وهو بمفرده، لا بد انه عرف واقنع نفسه بأن عليها الذهاب.

لقد كان رائعاً أن تتصور أنه ليس هناك بالعالم أسره سوى ثلاثتهم فقط، ولكن العالم ليس قصة خيالية بل كله حقيقة وقد تعلمت ايريكا أنه عليها مجابهة ما ينتظرها من حقائق. إن الحقيقة الحزينة هي أن الموت قد جمعهما والآن الحقيقة القاسية الثانية هي ضرورة العمل لكسب العيش هي التي تفرقهما، عليها أن تفهمه ذلك في الساعة الباقية.

قالت: «إن رائحة اللحم تفوح وتفتح الشهية.» ودخلت ببطء إلى المطبخ: «لم أكن أحس بأنني جائعة.»

استدار غايب لينظر إليها من شعرها الأشقر المعقوص إلى الوراء إلى بدلتها مثل رجال الأعمال وإلى حذائها ذو الكعب العالي. ثم نظر في عينيها: «لقد نسيت كيف كانت تبدو ايريكا من قبل. كيف لي أن أنسى.» قالها بصوت مهزوم وخافت كأنه يكلم نفسه.

شعرت ايريكا وكأنّ قلبها قد طعن بسكين حاد، ربما مخاوفها التي أحست بها كانت صحيحة. ربما كانا يعيشان قصة خيالية. وضعت يدها عليه متوسلة: «أرجوك غايب حبيبي أنت تخيفني، أرجوك لا تتصرف هكذا... أنا أرجوك أن لا تفعل هذا بنا.»

رفع رأسه قائلاً ببرودة: «افعل ماذا؟ أنا لا أعلم عما تتحدثين. أنا لا أفعل شيئاً لنا ولكن وقت اللعب قد انتهى أليس كذلك، ووقت العمل قد حان للسيدة المسؤولة عن الشركة. أنا أعلم كل ذلك، لقد كنا نمرح معاً، لا داع أن توقظيني من أحلامنا لقد فهمت الصورة كلياً.»

بدأت ايريكا تفقد صبرها وصاحت به: «أنت لا تفهم شيئاً، كيف تسمح لنفسك أن تكون بهذه الأنانية؟»

صرخ بها: «أناني؟ أناني؟» رمى كيس البطاطا من يده وتابع: «ما الذي تتكلمين عنه؟»

كررت كلماتها: «الأنانية.» وقفت بمواجهته وتابعت: «أنت وأنا شخصان اثنان يا غايب، فقط شخصان من العالم، اما شركة اف و دبليو فتضم مئتين واثنا عشر موظف. هؤلاء الموظفون يعتمدون عليّ من أجل رواتبهم. إنه من الرائع أن أعيش فقط لنفسي. ولكن لديّ موظفين مسؤولة عنهم وأقلق من أجلهم ولا أعيش من أجلي فقط.»

قاطعها غايب: «تمهلي يا سيدتي توقفي عندك، ماذا تعنين بذلك؟ ماذا تعنين أن تعيشي من أجلك فقط؟»

نظرت ايريكا بعيداً عنه مدركة ما قالته لتوها وتمنت لو تستطيع أن تتراجع عن كلامها: «أنا لم أقصد ذلك غايب. أنا فقط منزعجة ولم أدرك ما تفوهت به.»

هز رأسه ببطء: «آه كلا أنتِ لا تقصدين ذلك! كنت تتكلمين عني أليس كذلك؟ أنت تعتقدين بأنني أختار الطرق السهلة في الحياة. كما أنك تعتقدين بأنني استغليت موت أخي غاري حتى أكتفي وأتقوقع في المنزل وأرسم تلك الرسومات السهلة عن علم الطبيعة. لأنه بذلك لن أعرض نفسي أمام العالم ولن أكون مضطراً لمتابعة مهنة الفن كرسام مشهور.»

شدت ايريكا بأصابعها على جبهتها. كيف وصلا إلى هذا الموضوع؟ انه الوقت الخاطىء للخوض بتلك الأحاديث والمكان غير مناسب لمثل هذا النقاش لم تكن بحاجة إلى ذلك وبالأخص الآن: «أنا لم أقل ذلك يا غايب، لا تلقمين الكلمات في فمي.»

أجابها غايب: «لست مضطراً لوضعها في فمك يا حبيبتي، أنت التي تقومين بذلك بنفسك. ولكني لم أكن استمع إليك قبلاً. لقد كنت دائمة الكلام عن رسوماتي ولوحاتي الزيتية وعن المعرض الصغير الذي قمت به سابقاً. كنت اعتقدك مهتمة لأنك تحبينني، ولكني أنا الوحيد الذي اعترف بحبه هنا أليس كذلك؟ لقد نسيت إلى من أتحدث! كيف لي أن أنسى من تكونين! الرئيسة ايريكا فلتشر العاملة بكل ما يختص بالفن والعالم القديم، آه! كم أنا أحمق من الدرجة الأولى.»

مدت ايريكا يدها لتمسك بذراعه وقالت: «أنا أحبك يا غايب، أنا أحبك من كل قلبي أنت وأماندا.»

قال لها وهو يزيح يدها عنه بعيداً: «كنت انتظر سماع تلك الكلمات ولكني لا أريد أن أسمعها الآن وهناك أمر آخر... ان اسمها ماندي! لماذا لا تناديها ماندي؟ ألا يليق اسمها مع الطبقة الارستقراطية التي تأتين منها. كما أنني لست من نفس طبقتك الراقية أيضاً ولست مناسباً لك. منذ قدومك وأنت تغيرين الأشياء هنا حتى تصبح كما تشائين.»

فجأة شعرت ايريكا بالغضب منه. إنها لم تقصد إهانته كل ما كانت ترغب به هو الأفضل له ولمهنته ولمستقبله. انفجرت به صائحة: «كيف تتجرأ وتقول هذا؟ أنت انسان موهوب وأحمق، كيف لك أن تنسى ذلك وتبيع نفسك رخيصاً وتبيع أماندا وتبيعني معك؟»

قال: «لا أحد يستطيع أن يستهين بك يا ايريكا إنك تساوين ثروة.»

كانت متوترة وتشعر بأنها سوف تضربه الآن على صدره وبشدة حتى يصحو مما هو فيه ويغيّر رأيه العنيد. كيف ظنت أن كل شيء يسير كما يجب؟ لا بد وانها كانت مجنونة. قالت له: «لا حاجة لأن أتكلم معك الآن.» ورفعت يديها مستسلمة: «عليّ أن أنهي ترتيب الثياب ثم أرحل من هنا.» استدارت وخرجت من الغرفة قائلة: «ان لحمك المشوي يحترق.»

كاد صندوق القمامة أن يميل عندما رمى غايب فيه اللحم المحروق وكيس البطاطا، لم يعد يشعر بالجوع ولن يشعر به مطلقاً. ماذا به؟ انه يتصرف كالرجل الأناني والطفل

المدلل. أحنى رأسه على يديه وبدأ يفكر بما حدث منذ نصف ساعة في نفس المكان. ولم يعلم سوى أنه كان خائفاً. خائفاً لدرجة الجنون.

أطعم ماندي ووضعها في مهدها لتنام بعد أن غنّى لها. إن الانسان عليه أن يقوم بواجباته والحياة تسير مهما كان الانسان يتألم بداخله. كل شيء كان يسير بانتظام ما عدا أنه بعد لحظات سيفتح باب الغرفة وستخرج ايريكا من حياته. لقد كان المنزل هادئاً... كثير الهدوء. ربما قد خرجت وهو مشغول مع ماندي ولم يرها. حتى انها لم تودّعه مع أنه لا يجدر به أن يلومها بعدما فعله معها.

ذهب إلى القاعة حتى يتأكد من ظنونه أو يجد طريقة للوصول إليها وليقول لها انه كان أحمق في تصرفاته معها.

إنه يحبها وما زال يحبها من كل قلبه ووجدانه. كانت غرفتها فارغة ورائحة عطرها تفوح في المكان. السرير مرتب والوسادات التي اشترتها ايريكا موضوعة على السرير بترتيب. إناء من الكريستال مليء بالأزهار موضوع على المكتب، الغرفة نظيفة ومرتبة لكنها فارغة. أغمض عينيه وأسند نفسه على الباب وهو يلوم نفسه بأنه أحمق وغبي وأخذ يتمتم لنفسه بصمت لعناده ولإصراره على عدم الاعتذار منها. وانه كان مخطئاً بحقها. بقي تائهاً شارد الذهن يفكر في تعاسته عندما انتبه إلى صوت دعسات ناعمة تصدر من غرفة ماندي. بدأ جسمه يرتجف للأمل الجديد عندما نظر من الباب إلى الغرفة الصغيرة ووجد ايريكا واقفة أمام المهد ويدها داخل القضبان تداعب خد

ماندي النائمة وسمعها تهمس بصوت منخفض: «سوف افتقدك كثيراً يا حبيبتي. كثيراً جداً. لن تنسيني في غيابي أليس كذلك؟ أنتِ تنمين بسرعة وأمور جديدة تحصل معك كل يوم ربما تكونين مشغولة بالتفكير بي، حسناً لن أبقى بعيدة عنك لمدة طويلة أنا أعدك. انتبهي إلى عمك العنيد من أجلي أليس كذلك؟»

بلع غايب ريقه بصعوبة وهو يستمع إلى صوت ايريكا الحزين ويرى الدموع في عينيها. كان يود أن يخبرها بأنه يحبها وانه لن ينساها وسينتظر عودتها، ولكن الآن وهي بحاجة إليه ولتفهمه ولدعمه ها هو يتصرف كالغيور والأحمق العنيد.

همس: «ايريكا.»

ابتعدت عن المهد ثم استدارت نحوه وهي تبحث في جيبها عن منديل لتمسح دموعها. سألته: «ما الذي تريده الآن؟» خرجت من الغرفة وهي تتابع: «لا تعتقد بأنك تستطيع أن تهددني الآن بعدم وصايتي على ماندي، اني أمّ جيدة وأنت تعرف ذلك.»

لحق غايب بها إلى غرفة الجلوس حيث رأى حقائبها أمام الباب الرئيسي وقال لها: «أنا لم أقل أبداً أنك أمّ غير جيدة.»

أجابته: «إياك أن تنسى ذلك.» وأحست بالانهيار من جراء وداعها للطفلة، كان الوداع من أصعب ما قامت به. لذا قالت له وهي تتجنب النظر في عينيه: «عليّ أن أذهب الآن. إن حركة السير المزدحمة تكون قد هدأت الآن كما اعتقد.»

قال: «ولكنك لم تتناولي عشائك بعد.» محاولاً ايجاد الطريقة ليأخرها عن الخروج.

قالت: «سوف اشتري شيئاً من أي مطعم عن الطريق لو شعرت بالجوع.» كانت راغبة بالخروج من المنزل قبل أن تنهار كلياً.

هز رأسه واقترب منها ليحمل الحقائب إلى السيارة وعندما وقف عند المدخل كان يراقب ايريكا وهي تفتح باب سيارتها، إنه يتركها ترحل وتخرج من حياته بكل بساطة وها هو يقف في الخلف متشبثاً بكرامته وعزة نفسه، هل هو مجنون؟ هل فقد عقله؟ صرخ فجأة: «ايريكا.»

استدارت قبل أن تجلس وراء المقود فرأى الدموع المنهمرة على خدّيها نظرت إليه بعينين تتوسلانه أن لا يصعّب عليها الوداع أكثر من ذلك. لو لمسها سوف تنهار بين ذراعيه وتقضي على شركتها: «نعم.» أجابته بصوت غير ثابت.

قال: «أنا أحبك يا ايريكا. سوف نكون هنا، ماندي وأنا، في انتظارك مهما طالت مدة غيابك وأنا أعدك بأن أفكر بما قلته لي.»

أغمضت عينيها للحظة وعضّت على شفتها السفلى ثم نظرت إليه بعينين يشع منهما الحب وقالت: «أشكرك يا غايب أنا أعدك أيضاً بأنني سأفكر. هذا... هذا الفراق في النهاية شيء جيد سوف يعطينا الوقت لكلينا حتى نفكر بتعقّل ونعرف ماذا نريد بالضبط. لقد كُنا مسرعين بعلاقتنا أتعلم ذلك؟»

ابتسم لها غايب: «بالفعل كنا سريعين ولم ننتبه لما كنا

نفعله حتى اتصال ذلك الرجل ابرناتي، فقط تذكّري يا حبيبتي... أنا أعلم أين أجدك.» حذّرها مازحاً وتمنى لو استطاع أن يضمها إليه مرة أخرى ويقبّلها قبل أن ترحل ولكنه قرر أن يبتعد عنها الآن وذلك من أجلها.

وعدته ايريكا: «سوف أتذكر. كما انني أعلم أين ساجدك، انتبه إلى أما... ماندي.»

وهكذا رحلت اريكا وأصبح غايب وحيداً.

الفصل التاسع

حدق غايب بتوتر الى الهاتف الذي لم يرن جرسه طيلة ثلاثة أيام وثلاث ليال متتالية طويلة لأكثر من مرتين. ربما الخط معطل؟ حمل السماعة ليتفقد صوت الهاتف وأيقن انه غير معطل، وبسرعة وضع السماعة مكانها وبدأ يكلم نفسه: «أين هي؟»

فرك ذقنه بيده المتعبة وهو يشعر بالاحباط ويحس بشعيرات ذقنه التي لم يحلقها لمدة ثلاثة أيام. لقد عاد إلى تلك الأيام الماضية المثقلة بالهموم عندما استلم ماندي بعد ولادتها وكان مشغولاً بها وبالمنزل وناسياً نفسه. والآن بعد رحيل اريكا عاد الوضع كما كان في السابق. كان عاري القدمين عندما جلس على مقعده خلف المكتب مرتدياً بنطالاً من الجينز المهلهل وقد عقد حاجبيه عندما أراد أن يتذكر متى آخر مرة مشط شعره بها. قال بصوت مرتفع: «ربما بعد الحمام اليوم.» حمامه الذي يستغرق ثلاث دقائق حتى لا يفوت عليه اتصال اريكا.

كان النهار الوحيد الذي خرج فيه من منزله أمس ليشتري علب الحليب لماندي. ربما اتصلت اريكا في ذلك الوقت. عليه شراء آلة لتجيب على الهاتف وتسجل رسائل المتصلين في حال كان خارج المنزل.

ولكن كيف سيقوم بذلك لو ذهب مرة أخرى إلى السوق؟ ربما ستتصل اريكا مرة ثانية في غيابه.

نظر في المرآة وقال لنفسه: «أنت غير مرتب.» وأخذ يهز برأسه مشمئز من نفسه: «أنا استغرب كيف ماندي المسكينة تتحملني ولا تصرخ عندما تراني.» آه كم كان شاكراً لوجود ماندي في حياته لولاها لكان أصبح مجنوناً الآن. وسأل نفسه مجدداً، ما هو الشيء في نساء فلتشر الذي يدفع رجال لوغان إلى التعلق بهن وحبهن؟

حدق غايب بورقة الرسم أمامه التي وضعها منذ ساعتين، وعوضاً عن رسم قدم الانسان المتوجب عليه انهائها كانت الورقة مليئة برسومات دون معنى. هناك اريكا وهي تحمل ماندي في أعلى الورقة وصور اريكا في عدة لقطات هنا وهناك في الورقة لقد رسم ابتسامها وتكشيرتها وها هي اسمائهما اسمها واسمه في أسفل الورقة والبراعم تدور حولهما.

قال لنفسه: «لوغان. أنت وقعت بالحب من رأسك إلى قدميك.» أخذ الورقة ورماها ناحية سلة المهملات لكنها وقعت إلى شمال السلة مع بقية الاوراق الملقاة التي كانت حصيلة عمله منذ غياب اريكا إلى الآن. ليس هناك من فائدة في جلوسي ومحاولة إنهاء عملي. لذا، نهض ليترك الغرفة لأنه لن يعمل اليوم وهو لا يستطيع التركيز على شيء سوى التفكير باريكا.

ذهب إلى المطبخ وأغمض عينيه عند رؤية الاوساخ والأطباق المكومة. مقالي وطناجر من مختلف القياسات على الفرن كلها متسخة. أما المجلى فكان مليئاً بالاطباق ورضاعات الحليب. مشهداً كان أغضب اريكا لو شاهدته. لقد اشترى أمس حلمات يمكن رميها بعد الاستعمال دون

الاهتمام إلى كلفتها الغالية ولكن عليه تنظيف الرضاعات الآن وإلا لن ينظفوا معه لاحقاً.

فكرة العمل أشعرته بالهزيمة لذا ترك المطبخ كما هو وذهب ليرى الطفلة. دخل غرفتها على أصابع قدميه بهدوء وابتسم بحنان لمشاهدتها نائمة بسلام على بطنها وحفاضها عالي، كان فمها مفتوحاً ويتحرك كأنه يمص الرضاعة، كأنما تخبره أن وقت اطعامها قد اقترب. أراد ايقاظها ليعلب معها ويملي وقته لكنه عاد وتوقف عن ذلك.

خرج من الغرفة وذهب إلى خلف المنزل. كانت الحديقة بحاجة إلى شذب الحشائش الطويلة التي تدعو النحل إليها. ولا يستطيع الآن أن يخرج ماندي إلى الحديقة بسببها: «هذا ما تناله من جراء وضع السماد أيها الأحمق. إن الحشائش تنمو الآن أكثر بمرتين من ذي قبل علي أن أقلع الحشائش وأزرع بعض الازهار.»

عاد ودخل المنزل وهو يكلم نفسه: «كما عليّ التوقف عن الحديث مع نفسي أيها الرجل العجوز قبل أن يأخذوك إلى المصح العقلي.»

انهار غايب على الكنبة في غرفة الجلوس رافعاً ركبتيه وواضعاً يديه خلف رأسه محملقاً بالسقف. فكر بأخيه وبالسبب الذي دفعه لشراء هذه الكنبة التي تغرق الشخص الجالس عليها. وتذكر ذلك اليوم عندما كان واريكا يتناقشان ويتجادلان حيث وقعا على نفس الكنبة. علت ابتسامة خفيفة على وجهه عندما تذكر تلك اللحظات الثمينة وعادت التكشيرة إليه عندما فكر أنه سيعيش على ذكرى

اريكا. ضرب بقبضته على ركبتيه ليمحو تفكيره البائس هذا. ألن ينتهي يومه هذا؟

عندما اهتم بماندي في بادىء الأمر لم يكن يجد الوقت الكافي ليقوم بما عليه من واجبات وأعمال. أما الآن حيث لم تعد اريكا في حياته، كل يوم كان يمر عليه يبدو كسنة. كيف يحدث لرجل عنيد غاضب أن تحوله امرأة متطفلة وتقلب حياته رأساً على عقب؟ كيف حصل ذلك؟ متى؟ لماذا لم ير ما كان سيأتي؟ أو هل كان يرغب بذلك منذ قدومها إليه؟ وهل شجعها على ذلك؟ أعاد رأسه ليرتاح إلى الوراء على الوسادة واغمض عينيه فلم يرى سوى صورة اريكا، وعندما فتحهما اختفت تاركة وراءها الوحدة والتعاسة: «كم أنا مشتاق إليها.»

• • •

قالت اريكا تخاطب بوب: «حسناً يا بوب سوف أكون جاهزة عند الساعة الثالثة ولكن عليّ الاستحمام بعد العمل. لاقيني في بهو الفندق وسوف نحاول اقناع أبيركرومبي معاً.»

انهارت اريكا على حافة السرير والسماعة ما تزال في يدها. أخذت تخلع حذاءها ذو كعب العالي وتمددت على السرير الكبير لتريح جسمها المتعب.

قالت: «نعم ماذا يا بوب؟ بالطبع أعرف عن ناتانيل وعصيره. لماذا تعتقد بأنني اقترحت صالة الفندق منذ البدء؟ إن والدي قد علمني كيف أتعامل مع ناتانيل أبيركرومبي منذ عدة سنوات. كلا لا أعتقد إن كان

ضرورياً. هل ميريك اند ميريك ما زالت خطرة علينا؟ انت تحتاج إلى دعمه في هذا يا بوب. لديه الكثير من السلطة مع باقي الاعضاء.» وضعت السماعة مكانها ثم تمددت على سريرها رافعة ساقيها على الحائط الذي أمامها حتى أصبحا فوق ارتفاع رأسها. كانت قدماها متورمتين وتؤلمانها.

لماذا كان عليها أن تمر دائماً ببوابة المطار الخاطئة وعليها أن تسير مجدداً مشياً على قدميها كل مرة؟ وهي تجر حقائبها بنفسها لتجد أخيراً السائق في شركتها لكنها الآن هي هنا في شيكاغو. ثلاث مدن مختلفة في ثلاثة أيام. لقد نزلت في ثلاث فنادق وقامت باثني عشر مقابلة متعبة وليس ما تأكله سوى السلطة والخس. لقد كانت متعبة ومرهقة ومحبطة معاً. كانت تأمل بأن مقابلتها مع ناتانيال أبير كرومبي ستكون ناجحة وأفضل مما كانت في بالتيمور.

السيدة هافيرلي لم تكن متعاطفة مع اريكا حين شرحت لها عن مشاكلها الخاصة التي أبعدتها عن المكتب وشركتها. لقد قالت لها وهي تصب الشاي عندها: «أنتما الاثنتان فتاتان لعوب أنت وأختك.» شربت اريكا الشاي معها وبصعوبة حفظت لسانها. الحقيقة السيدة هافرلي ذات الشعر الرمادي لم تشعر كم كانت اريكا متعبة من كل شيء ومنها خصوصاً. لكن السيد بوب أبيرناتي كان يتظاهر بالسعال على صوت مرتفع كأنه يعطي إشارات إلى اريكا بعينيه حتى تبقى صامتة. إن مهمة اقناع السيدة هافرلي ضرورية تصويتها مهم لذا عليهما تحملها لتصبح من

جهتهم. على الأقل لقد تخلصوا من الوضع في ميريلاند دون أن تجبر اريكا من مغادرة الشركات المحلية.

رفعت اريكا يدها لتنظر إلى الساعة على رسغها الضعيف. إنها الثانية والنصف ما يعادل الثالثة والنصف في بنسلفانيا.

إن ماندي قد أنهت رضاعتها في هذا الوقت وتكون نائمة وغايب في مكتبه يعمل بجهد لأنه كان مشغولاً بها مؤخراً في الايام الأخيرة. جلست على سريرها وتناولت السماعة وهي مترددة تفكر. ربما ليس عليها إزعاجه وعليها أن تؤجل اتصالها لأنه يعمل. ألم تكن هي مشغولة كثيراً في اليوم الأول لدرجة انها لم تتمكن من الاقتراب من الهاتف إلا بعد منتصف الليل؟ لقد حاولت الاتصال به في اليوم السابق لكن الجرس رن لمدة دقيقتين ولم يرد أحد. بعدها كان عليها أن تجتمع بثلاث اجتماعات دون أن ترتاح دقيقة واحدة.

من كانت تخدع؟ أمن المعقول أنه ليس بإمكانها ايجاد الوقت لتتصل بغايب؟ ماذا عن الساعتين اللتين قضتهما في بيتز بورغ هذا الصباح؟ كان بإمكانها الاتصال به عشر مرات لو أرادت ذلك بدلاً من تضييع وقتها بقراءة المجلة. لكنها لم تكن تعرف ما تقول له. ولم تكن تدري ما الذي سيقوله لها.

رفعت يدها عن السماعة ونهضت لتخلع عنها بدلتها الزرقاء وتتجه نحو الحمام ربما ستفكر أفضل وهي تحت المياه. بعد خمس دقائق عادت إلى غرفتها وشعرها مربوط إلى الخلف. حدقت بالهاتف وحدق الهاتف بها. كأنه

يلاحقها أينما ذهبت بأرقامه وكأنه يذكرها بأنها جبانة. تجاهلته وهي تبحث عن الثياب في حقيبتها. ارتدت قميصاً أبيض نظيفاً وبدلة سوداء اللون وانتعلت حذاءها العالي. ثم سرحت شعرها وعقصته للوراء. أخيراً عند الساعة الثالثة إلا عشر دقائق حملت حقيبة العمل وتوجهت إلى صالون الغرفة الصغير كانت على بعد عشر أقدام من الباب عندما نظرت إلى الهاتف الصغير على الطاولة: «هذا سخيف.»

رمت حقيبتها بانهزام وجلست على حافة الكنبة وأخذت نفساً عميقاً ثم رفعت السماعة قائلة: «اريد طلب مخابرة خارجية أرجوك.» وحين أجابتها موظفة الهاتف قالت رداً عليها: «نعم أنا أعلم أنه باستطاعتي الاتصال مباشرة ولكن أفضل أن تقومي أنت بذلك.» وفكرت ان بهذه الطريقة لن اضطر إلى الاقفال بحال لم يجاوب غايب.

رن جرس الهاتف عندما كان غايب يغسل الطبق للمرة الخامسة محاولاً إزالة بعض صفار البيض عنه الذي تجمد منذ مدة عليه. ركض بسرعة والصابون يتطاير من يديه على وجهه وشاربه. مسح يديه ببنطاله وكاد أن يتعثر بمقعد ماندي على الارض لكنه أمسك بسماعة الهاتف في الوقت المحدد قبل أن يرن للمرة الثانية.

«اريكا!» صرخ دون الاهتمام بمن يكون على الخط الثاني مثل اليوم السابق حيث علم أنه يتحدث مع أحد البائعين ويدعى بروس.

«غايب هل هذا أنت؟ هل كل شيء على ما يرام؟ إنك تبدو قلقاً.»

لقد كانت اريكا. كاد غايب أن ينهار على الكرسي لأن ركبتيه ترتجفان وقلبه يخفق بسرعة.

«غايب.» قالتها اريكا وبصوتها اهتمام وخوف: «هل هي ماندي؟ هل أماندا بخير؟ آه أنا أعلم أنه كان علي الاتصال قبل الآن. أنا أعلم يا غايب اجبني.»

بدأ غايب بالضحك، لقد انتظر طويلاً ليسمع صوت اريكا مجدداً والآن وهي على الخط لم يسعه سوى شكر حظه والضحك.

سألته: «هل هذا ضحك الذي أسمعه؟ غبريال لوغان؟ هل تضحك عليّ؟»

«من؟ أنا؟» قال غايب مختنقاً من الضحك: «لماذا اضحك عليك؟ يجب أن أكون مجنوناً لاضحك عليك.»

أجابته اريكا بلطف: «ما زلت أعمل في قضيتي يا حبيبي.»

قال: «لقد اشتقت إليك.» كان يستند إلى الحائط، فانزلق ببطء ليجلس على الارض البلاط البارد ويمد رجليه أمامه. إن كل شيء بخير.

سمع صوتها: «وأنا مشتاقة إليك وافتقدك.» تابعت وهي تتنهد: «كيف الحال عندك أنت وماندي؟» نظر غايب حوله في المطبخ وهو يرى الأطباق الوسخة والقدور والرضاعات المملوءة بالماء الساخن على المجلى. لقد عمل في المطبخ منذ ساعة والمكان ما يزال يبدو كارثة.

سألها: «ما الذي تعتقدينه يحصل؟ ان الحال على ما يرام هنا. لقد عدت إلى مسؤولياتي القديمة وأنا أدير المكان كالساعة. إن ماندي بخير، لقد اصبحت سمينة وبصحة جيدة

وسعيدة وأنا أتصرف كالرجال، ولكني أعني ما أقوله، أنا افتقدك كثيراً يا حبيبتي. كيف فيلادلفيا؟»

قالت: «ليس لدي أدنى فكرة، أنا لم أرها منذ ليلة الثلاثاء. لقد قابلني بوب في المنزل ذهبنا مباشرة إلى المطار. أنا في شيكاغو الآن بعدما توقفت في بالتيمور ونيويورك. في الحقيقة لقد تأخرت الآن عن مقابلتي.»

تجاهل تلميحها وسألها: «هل من نجاح أو ما زال الأشرار يربحون؟» كان يريدها أن تتابع حديثها لن يدعها تقفل الخط الآن. عم السكون للحظة فتأكد غايب من أنها تقرر إن كانت ستخبره بما جرى أم لا.

أخيراً قالت: «ما زال الوقت مبكراً الآن لأتكلم يا حبيبي، لقد جمعت بعض الدعم معظمهم من الاصدقاء القدامى لوالدي. سيأخذ مني الأمر وقتاً إضافياً ربما ثمانية أو عشرة أيام...»

أراد غايب أن يخفف عنها فقال لها بصوته المرح: «إيه، لا مشكلة، ماندي وأنا نتدبر أمورنا بشكل جيد ما عليك سوى أن تنتصري عليهم ولا تشغلي بالك بنا.»

«حسناً يا غايب... آه توقف غايب هناك شخصاً يقرع على بابي.» ذهبت لعدة دقائق وسمعها تتحدث لشخص ما.

«غايب؟ هل أنت معي على الخط.» قالتها بعد لحظة.

«نعم ما زلت معك يا اريكا. هل كان ذاك أبيرناتي؟»

«نعم. أخبرتك اني تأخرت على الاجتماع. بوب صعد ليصحبني قبل مجيء الرئيس المحلي ناتانيال أبيركرومبي، عليّ أن أذهب الآن... قبل ماندي عني، هل تفعل ذلك؟»

هز غايب رأسه: «نعم نعم اريكا، بالطبع سأفعل... وأنت أيضاً انتبهي لنفسك حسناً؟ تذكري تناول طعامك وكل شيء.»

قالت: «أعدك.» قالتها بصوت خافت بالكاد سمعه وكأنها قطعت الخط.

قال لها بنعومة: «أحبك يا اريكا.»

«حسناً يا بوب سوف آتي لا تكن كالمرأة العجوز. لن يذهب أبيركرومبي إلى أي مكان من دوننا. أنا آسفة يا غايب كان بوب يكلمني في أذني الثانية ولم أستطع أن أسمع ما قلته لي هل لك أن تعيده أرجوك.»

أغمض غايب عينيه وهو يشعر بالألم يجتاح جسمه: «لم يكن شيئاً مهماً يا حبيبتي. كنت أتساءل أين تضعين دبابيس ماندي الاضافية. أنا أكيد بأنني سأجدهم... انتبهي لنفسك واتصلي بي عندما تستطيعين. وداعاً.»

نهض غايب ليعيد السماعة إلى مكانها. ووقف محدقاً بالهاتف يفكر إن كان من الافضل له أن يسحب الهاتف من مكانه ويرميه خارج نافذة المطبخ: «يا لك من أحمق يا لوغان.» كان يهين نفسه: «يا لك من سخيف أحمق من دون عقل.» رفع الطبق الذي كان يغسله قبل أن يرن الهاتف وتضايق عندما رأى صفار البيض المعلق قد زال بنفسه من دون تعب. كان يريد أن يخفف من توتره بحف الاطباق.

أين دبابيس الحفاضات؟ لا تنسي أن تتناولي طعامك، أعاد كلماته في ذهنه وقال في نفسه، كم بدوت سخيفاً معها على الهاتف.

سحب طبقاً آخر وهو يتابع تمتمته: «لقد انتظرت ثلاثة

أيام لسماع صوتها... ثلاثة أيام وكل ما قلته هو السؤال عن دبابيس الحفاضات؟ وذلك الرجل بوب ابيرناتي. أنا لا يهمني كم يبلغ عمره. أود لو اجتمع به، إن هذا السافل يأمر اريكا، سوف ألقنه درساً.»

نفض الصابون عن يديه وفتح الثلاجة ليتناول منها زجاجة كولا باردة. كانت آخر واحدة. وكان يدخرها لحين مشاهدته المباراة على التلفزيون في تلك الأمسية ولكنه لم يعد مهتماً الآن. فتح الزجاجة وأخذ يراقب الرغوة تفور منها وتسقط على أرض المطبخ. ترك المطبخ والاطباق الوسخة وذهب إلى غرفة الجلوس ليحتسي الكولا ويضمد جروحه.

هل اريكا صحيح اشتاقت إليه؟ جلس يفكر بحديثهما. نعم حقيقة اشتاقت إليه وافتقدته بالتأكيد! لقد اشتاقت لي لدرجة أنها انتظرت معها ثلاثة أيام لتجد هاتف. ربما لا يوجد في كل شيكاغو أكثر من أربع هواتف. يا لها من صعوبة في ايجاده!

كيف كانت تشعر تجاهه؟ تجاههما الآن وقد عادت إلى عالمها الحقيقي بعيداً عنه؟ لقد بدت أنها تستمتع كونها سيدة منزل. ولكن ربما بدا لها هذا كله سخيفاً. هل حقاً أعتقد أن اريكا فلتشر وقعت في غرامه وتريد أن تتزوجه؟ على كل حال ما الذي لديه ليقدمه لها؟ إنه فقط رجل يختبىء وراء رسوماته وأعذاره حتى لا يصبح فناناً مشهوراً. لقد فهم تماماً ما كانت تعنيه بقولها ذلك اليوم. لقد فتحت الجروح الماضية كلها ودعته يواجهها بنفسه. ولقد اكتشف فشله واعترف بأنه كان أكثر من

سعيد ليتخلى عن موهبته عندما توفي والده واضطر لمساعدة أخيه غاري بأحلامه ليصبح بطلاً في الاولومبيا.

كانت الطريق السهلة هي التي اختارها حتى يتجنب الوقوع في الفشل مع ان استاذه لم يكن على خطأ في تقديره لمواهب غايب. كان يستطيع الحصول على وظيفة وبالوقت نفسه مواصلة رسوماته في المساء ونهاية الاسبوع. قال لنفسه مؤنباً: «ولكنك لم تفعل ذلك. وعندما فشل معرضك الصغير الأول منذ ستة أشهر وتوفي غاري ركضت مباشرة إلى حجرك واختبأت فيه أليس كذلك؟ يا لك من رجل عظيم! والآن بكل وقاحة تتقدم من اريكا فلتشر وتطلب الزواج ومحبتك منها وأن تتخلى عن حياتها أيضاً. لوغان أنت أمير حقيقي.»

نظر غايب إلى يديه الحاملتين زجاجة الكولا عوضاً عن فرشاة الرسم. اليدان اللتان تتعبان من أجل الفن والابداع واللتان يتجاهلهما منذ عدة سنوات. ببطء وحذر وضع زجاجة الكولا على طرف الطاولة ووقف مستقيماً رافعاً الرأس. لم يعد لديه الوقت للجلوس والأسف على نفسه. الآن لديه العمل الذي يجب أن يقوم به.

كان الوقت بعد منتصف الليل عندما عادت اريكا إلى غرفتها في الفندق ومعها موافقة أبيركرومبي في حقيبة عملها. كانت مرهقة ومتعبة، لذا ذهبت مباشرة إلى السرير الكبير خلعت حذائها ونامت بثيابها. ولكن لم يكن الأمر سهلاً. لقد كان الهاتف بجانب سريرها وقد تذكرت حديثها الباكر مع غايب في ذلك اليوم. كان يبدو سعيداً وكأنه

مسرور ببعدها عنه وكل ما تحدث به هو دبابيس الحفاضات.

بالطبع قال لها اشتقت إليك مرتين ولكنه لم يكن مقنعاً ولم يتلفظ بكلمة حب مطلقاً. ربما هو سعيد لأنني رحلت. لقد كنا مسرعين بعلاقتنا مع بعض وكنا لوحدنا في الشقة ولا نفكر سوى بمستقبل ماندي... كانت تفكر وهي تزيح الغطاء عنها وترتب الوسادتين تحت رأسها. ما الذي تفعله هنا في غرفة باردة في الفندق بينما قلبها ما يزال معلق في منزل في بنسلفانيا؟ لقد اشتاقت إلى غايب كثيراً واشتاقت إلى ماندي كثيراً. إنه ليس بعدل ليس بالعدل.

استلقت على السرير ومدت ساقيها وبدأت بالبكاء حتى تنام وذلك لأول مرة منذ كانت في الثانية عشر من عمرها.

الفصل العاشر

بعد الساعة الثالثة صباحاً وجدت نفسها اريكا تدخل إلى فندق آخر غريب وتنهار على السرير لتنام قبل ان تضع رأسها على الوسادة.

استيقظت في هلع بعد ساعات قليلة وهي تمسك بسماعة الهاتف لتسمع صوت امرأة غريبة تتمنى لها صباحاً خيراً وتخبرها ان الساعة السادسة والنصف وان حرارة الطقس اثنان وسبعون درجة.

«شكراً.» قالتها اريكا بتعب وعينيها مغمضتين وهي تضع السماعة مكانها.

ان كان اليوم الثلاثاء لا بد وانها في فينيكس. واستدارت لتكمل نومها وحلمها الجميل عن غايب لوغان الذي يسير نحوها على سجادة خضراء مرتدياً بنطال الجينز وبساقيه الطويلتين حاملاً على صدره العاري ماندي. ولكنه حلم... والحقيقة بدأت توقظها لتدعوها إلى الانتباه، انها في فينيكس وغايب في بنسلفانيا. معه ماندي وهي عندها مسؤوليات عملها. ان الحياة غير عادلة لا شيء عادل، وانحدرت دمعة على خدها ثم على الوسادة.

لقد غابت عشرة ايام وكأنها عشر سنوات، أمس بعد الظهر وبعد اجتماع دام أربع ساعات في نيويورك مع محاسبيها وبوب ابيرناتي اعتقدت انها بدأت ترى وميض نور في آخر النفق المظلم. ولكن مع وصول برقية أمس قبل

WWW.REWITY.COM

تناولها العشاء بدأ الوميض وكأنه نور أضواء قطار ما، ميريك اند ميريك قد نجح بشراء اسهم لا بأس بها من شركة أف و دبليو. و لم يعد يبقى سوى أمل واحد. وهذا الأمل هو متجسد بشخص واحد وهي السيدة البرتا لونجارك ليفنغستون من مدينة فينيكس اريزونا. استأجر بوب فوراً طائرة صغيرة وكان لا بد من القيام هو واريكا بتلك الرحلة والمحاولة الأخيرة والتصميم على عرض يقدمانه للسيدة ليفنغستون وعليها ان لا ترفضه.

لكن معنويات اريكا اصبحت الآن منهارة وهي تعبة إلى حد الإرهاق ولم تكن تعتقد بأنها تملك ما يجعل السيدة ليفنغستون تقتنع وتكون من جانبها. لقد كانت اريكا تعبة للغاية.

رن جرس الهاتف من جديد واخذت اريكا تتمتم لبوب بسرها لكونه رجل لجوج، كان بوب يكبرها مرتين بالعمر. ألم يتعب؟ رفعت يدها واخذت السماعة قائلة: «بوب أنا اعرف كم الساعة الآن سأكون هناك عندما اكون جاهزة.»

اتى صوت رجل ضاحك على الخط يقول: «صباح الخير لك أيضاً.» مما جعل اريكا تقفز من سريرها والدم يصعد على وجهها الباهت.

قالت بتلهف: «غايب هل هذا انت؟ كيف؟ اقصد مرحباً... كلا لا اقصد مرحباً... اقصد كيف... كيف عرفت أين تجدني؟ كيف حصلت على هذا الرقم؟»

سمعت ضحكته عبر الأسلاك وهو يجيب: «لقد اتصلت بفندقك في نيويورك وقيل لي انك رحلت لذا اتصلت ببساطة

بزوجة بوب ابيرناتي وقلت لها ان ماندي مريضة ويجب الاتصال بك.»

نهضت اريكا من السرير بخوف وسألته بقلق: «امانداً مريضة؟ آه يا طفلتي المسكينة ماذا بها؟ هل اتصلت بالطبيب؟ ماذا قال؟ هل طلب اخصائي؟ سوف آخذ اول طائرة للعودة إليكما.»

قال: «اهدئي يا اريكا.» تابع بصوت عال حتى تسكت وتسمعه: «ماندي بصحة جيدة لقد قلت لك اني قلت هذا فقط للسيدة ابيرناتي لم اقل انها مريضة، هي بخير صدقيني انا اعلم انها كذبة سخيفة ولكنها الوحيدة التي فكرت بها لأحصل على رقم هاتفك، كان عليّ الاتصال بك... لم يعجبني صوتك في المخابرة أمس.»

تمددت اريكا على السرير لترتاح، لكن لم ينفعها ذلك لقد كانت مرهقة وليست بحاجة إلى ما يثير اعصابها اكثر من ذلك.

بدأت بالبكاء وهي تقول: «آه غايب ماذا افعل هنا؟ اريد العودة إلى المنزل.»

سمع غايب صوتها وحزنها وشعر بنفسه يتمزق، كانت تبدو كطفلة صغيرة قد ذهبت للمخيم في العطلة الصيفية واشتاقت إلى أهلها.

قال لها محاولاً ان يخفف عنها: «هيا يا حبيبتي، أنت اوشكت على الانتهاء لقد قلت ذلك بنفسك بالأمس. لا يجب ان تستسلمي الآن.»

سمع تنهدات اريكا قبل ان يسمع صوتها تتكلم من جديد. «كان هذا في الأمس يا غايب. اما اليوم فالأشرار يربحون،

ان لم اقنع السيدة ليفنغستون لأن تبقى في جهتنا سينتهي كل شيء، وانت تعلم الباقي. لم اعد اهتم... لم يعد يهمني شيء.»

فكر غايب بأن الأمر يسوء اكثر مما توقع. قال: «ان الأمر سيء جداً.» وأخذ يفكر بما سيقوله لتشجيعها، كان يود اكثر من أي شيء ان يقول لها عودي إلى المنزل واتركي الشركة إلى الأبد وتعالي إلي ولكنه يعلم ان هذا خطأ وانانية منه. لذا قال: «هل اريكا فلتشر العظيمة جاهزة لتستسلم وتنهزم وتهرب؟ عليّ ان اوقظ ماندي لأقول لها، بسبب استسلام خالتها العظيمة خسرت هي اسهمها وميراثها في الشركة.»

قالت محتجة: «غايب!»

أجابها باختصار: «ماذا؟» تابع والغصة واضحة في صوته: «ماذا تريدين مني؟ أنت التي قلت لي ان ابنة شقيقي لديها حصتها في الشركة وانت التي تتكلمين وتتكلمين عن مستقبلها. انا فقط أكرر ماقلته لي.»

اجابته: «ميريك اند ميريك لن تأخذ حصة ماندي منها يا غايب ولكن لم اعد ادير الشركة كالسابق.»

اجابها: «واسم اف. ودبليو سيذهب وينمحي، حسناً، بعد كم من الوقت. بعد ثلاث اجيال؟ حسناً، ان كنت تعتقدين انك لست قادرة على متابعة العمل إذن امكثي في المنزل لتحضير الحلويات فقط. هذه هي الحياة بالنسبة إليك. لن تكافحي كما يجب سوف تختارين الطريق السهلة للبقاء في المنزل والاهتمام بماندي وبي.»

قالت وهي تصرخ به: «اريد ان ابقى معك! ألا ترغب بذلك؟ اعتقدت اننا سنتزوج ونصبح عائلة مع ماندي.»

ها هي صرحت بمكنونات قلبها وفكرها الآن دون سابق تفكير. لقد تفوهت بالحقيقة من دون قلق. القلق الذي دام لأسبوعين. وكان يسيطر عليهما من خلال محادثتهما. لكن الآن اصبح الأمر واضحاً ولن يضطرا ان يدورا حول الموضوع مثل قبل. وكانت اريكا الأولى التي بدأت بالخطوة وصرحت بما يجول في افكارهما في كلمات. شعر غايب بالثقل ينزاح عن كاهله.

قال: «يا حبيبتي. هذا كل ما أريد ان اسمعه منك. أنا احبك كثيراً وأنا أتألم من حبي لك.»

«وانا احبك أيضاً يا غايب ولست خائفة ان اعترف بذلك، أود ان اقولها من أعلى السطوح. لذلك، لم تعد تهمني الشركة كالسابق. كنت اعتقد انها اهم شيء في حياتي لكنها ليست سوى شركة ألا ترى ذلك؟ ان الشركة لا تقارن بك وباماندا!. لقد اخترت ان أعيش معك ومع امانداوان احبك وابقى معك للأبد.»

شرح غايب مفسراً: «ولكن ألا تري يا حبيبتي اننا نتصرف خطأ. ليس عليك الاستغناء عن عملك حتى تحصلي على زوج وعائلة، انت تريدين العيش معي، ان الحب بنظري لا يعني ان تتخلي عن ما شغلك واحببته من قبل. انا لا اريدك بعد عشر سنوات ان تنظري إلى الوراء وتشعري بانك هربت من مسؤوليتك تجاه ماندي ووالدك ونفسك.»

عادت الدموع تنهمر من عينيها، سمع غايب نحيبها وتنهداتها القادرة على تحطيمه. فقال لها متوسلاً: «اريكا حبيبتي ارجوك لا تبك. لقد عثرنا الآن على شيء غالي وباهظ ورائع. اننا نحب بعضنا حقاً، انا اعلم انك اعتقدت ان

انفصالنا الآن سيكون أبدياً وكذلك انا. ولكن ما نشعر به الآن حقيقي.»

سمع ضحكتها من خلال دموعها: «غايب لوغان انت متوحش. ولكني احبك... احبك كثيراً.»

قال: «إذن اذهبي واغلبيهم يا حبيبتي.» ورفع قبضته في الهواء «انت تستطيعين فعل ذلك انا اعرف انك قوية. وعندما تعودين هناك مفاجأة بانتظارك. نوعاً من الترحيب بقدومك.»

قالت: «هدية؟ أم... هل طلع لماندي أول سن؟»

اجابها وهو يضحك: «كلا يا حبيبتي. ان هذه الهدية شخصية اكثر من ذلك. كم من الوقت سوف تبقين حتى تتغلبي على ميريك اند ميريك إلى الأبد؟»

«سوف اكون في المنزل غداً مساءً إما رابحة أو خاسرة.» اعلمته اريكا والخوف يعود إلى صوتها مجدداً. «آه غايب انا لا اعلم ان كنت استطيع اقناع هذه السيدة ليفنغستون، انها امرأة لا يستهان بها...»

«ما هذا يا حبيبتي؟ أنا لا اسمعك، لا بد هناك عطلاً في الهاتف... اللعنة على الخطوط علي ان اقفل الخط. سوف أضيء شمعة لك على النافذة... اذهبي ونالي منهم يا عزيزتي.»

وضع السماعة بسرعة وتنفس الصعداء، نظر إلى ماندي التي كانت جالسة في معقدها بالقرب منه تنظر إلى أشعة الشمس على الأرض. قال لها: «ان الاهتمام بك واطعامك في الوقت المحدد اصعب مما كنت اظن.» جثم على يديه ورجليه امامها «ولكن أتعلمين يا ماندي؟ اريكا تجن، نعم حقاً وهي

عائدة إلى المنزل قريباً.» شعر بالدموع تتلألأ في عينيه، رفع الطفلة بيديه وقبلها بحنان على جبينها. «ماندي... ان مامي قادمة قريباً.»

* * *

«إذن أنت التي تجلبين المتاعب إلى جيل وجيم ميريك. كم هذا مضحك. انت لا تبدين قادرة على الدفاع عن نفسك ضد كيس مبلل من الورق ماذا تريدين مني ايتها الفتاة؟ لست مهتمة بالخطابات الطويلة فقط ادخلي في صلب الموضوع. لماذا علي اعطائك حق التصويت لأسهمي؟»

نظرت اريكا عبر الطاولة الحديدية إلى المرأة الواقفة المرتدية العباءة والحاجبة أشعة الشمس الحارة المنبعثة من النافذة، لا بد ان الحرارة مئة درجة. حتى في الظل. كانت اريكا تحاول جهدها التركيز على البرتا ليفنغستون.

حبست ابتسامتها ورغبتها لتقول لها: «سيدة ليفنغستون كما اعتقد.» وفي داخلها تفكر انها تشبه إلى حد كبير آني أوكلي، لكنها قالت: «لما لا يا سيدتي؟» رفعت ذقنها بكبرياء وتابعت: «أي افعى شرقية ذات نقاط خضراء تزحف في الحشيش تشبه غيرها أليس كذلك؟ على الأقل تستطيعين ان تحكمي على خبرتي من جراء قتال عادل.»

ارجعت رأسها إلى الوراء وضحكت من قلبها بصوت عميق ومسرور. واخذ بطنها يهتز من شدة ما ضحكت. ثم قالت السيدة ليفنغستون: «ايتها الفتاة سوف اقول لك هذا، لقد استرعيت انتباهي. دعينا ندخل في الموضوع، اردت فقط التأكد من قدرة تحملك، انت كالصبار مستعدة للوقوف

والتحمل طيلة النهار، يعجبني ذلك. اتبعيني سنشرب كوب عصير ثم نتحدث. وتذكري ان يكون كلامك بسيطاً لا احب الخطابات المبطنة.»

جلست اريكا على الكرسي الحديدي غير المريح، ونظرت نحو بوب الواقف في بدلته المؤلفة من ثلاث قطع، والرطوبة تتصبب من وجهه إلى ياقته.

سألته: «بوب هل تريد شرب كوب عصير معنا؟»

بعد ثلاث ساعات وضعت اريكا موافقة السيدة ليفنغستون في حقيبة عملها، وجلست في مقعدها بالطائرة واستدارت نحو محاميها لتقول له: «لقد قمنا بما يجب علينا يا بوب، كدنا ان نقتل انفسنا خلال العملية ولكننا نجحنا بها لم، يبق سوى اجتماعنا غداً في نيويورك ونعود إلى المنزل احراراً.»

قال المحامي بحزم: «أنت قمت بها يا اريكا، لقد جعلت تلك السيدة العجوز تقتنع بكلامك والفضل في هذا يعود إليك، لو والدك لا يزال على قيد الحياة لكان فخوراً بك، لقد كنت رائعة.»

استدارت اريكا لتنظر من النافذة عندما ارتفعت الطائرة وتوجهت شرقاً. ظهرت ابتسامة خفيفة على وجهها وهي تقول: «نعم لقد قمت بها أليس كذلك؟ انا لا اصدق!»

• • •

نظف غايب المنزل بأكمله بعدما استحمت ماندي واكلت ونامت. وحضر شرائح اللحم المبهر والمملح في الثلاجة، والسلطة لا ينقصها سوى التوابل المحضرة بجانبها على

الرف، حبتان من البطاطا المطلية بالزبدة والملفوفة بورق الألمينيوم جاهزتين على الطاولة بجانب الشواية التي يشعلها غايب عندما يسمع صوت سيارة اريكا قادمة، ولن تستيقظ ماندي قبل ساعة لتناول عشائها. لقد شعرت بقلق عمها فتصرفت بهدوء طيلة النهار.

تفقد مكتبه مرة أخيرة محاولاً ان يراه بعين اريكا، تنفس الصعداء، وأقنع نفسه بأنه سوف يعجبها عمله.

اتصال منه إلى السيدة ابيرناتي وعلم كل ما يجب ان يعلمه. لقد فازت اريكا بالسيدة ليفنغستون إلى جانبها ولم يبق سوى الاجتماع النهائي بعد الظهر. ان اريكا سوف تدخل المنزل خلال عشرين دقيقة حسب توقعاته.

نظر غايب إلى نفسه وكان يعلم انه في حالة يرثى لها، لقد ترك لنفسه وقتاً ليس بكافياً ليستحم ويهيء نفسه، ركض مسرعاً إلى غرفته عليه ان يسرع ان اريكا في طريقها الآن.

كانت اريكا تشعر بنجاح عظيم لقد ثبتت قدميها في الشركة، ليس بسبب اسمها أو بسبب والدها بل بسبب قدراتها وتصميمها. لقد انتصرت، واعترفت لنفسها سراً انها احبت كل ما قامت به بينما كان بوب يهنئها. كيف كادت ان تستسلم وترمي بكل هذا؟ لا بد انها لم تكن بكامل قواها العقلية.

كانت تقود باتجاه بلدة آلن واضعة شريطاً موسيقياً، كانت تشعر بسعادة كبيرة لأن غايب شجعها على الاستمرار بالمقاومة.

لقد استغل ميراث ماندي للقيام بذلك. ألم تكن اولى

مناقشاتهما حول مال عائلة فلتشر؟ المال والدافع على الاحتفاظ بابنة شقيقه.

لكن غايب اعطاها اكثر من التحدي. لقد رأى ما لم تره اريكا، ان حبها له وحبها لامانداً لا يعني النهاية لعملها ومهنتها التي احبتها، وفكرت ان بهذه النتيجة التي وصلت إليها سوف تكتمل حياتها.

عندما استدارت إلى بولفار هاميلتون اختفت ابتسامة اريكا، لقد خططت على مفاجأة غايب بتحضير معرض للوحاته الزيتية ورسوماته في معرض في فيلادلفيا، وفكرت بأن غايب سوف يعتقد بأنها لم تتقبل وضعه كما هو مع انه هو قد تقبلها كما هي.

شدت بقبضتها على مقود السيارة وهزت رأسها مصممة «هو يستطيع ان يمضي بقية حياته في الرسومات ان كانت تسعده أو ان يضحي بوقته لفنه.» تابعت بصوت مرتفع داخل السيارة المكيفة. «الآن اصبحت اريكا فلتشر غير مسؤولة عن تنظيم حياة الناس طالما غايب يريدني في حياته. سأكون معه لأنني احبه كما هو وليس كما اريده ان يصبح.»

كانت اريكا تركز على القيادة وتستعد لتتجه إلى الطريق المؤدي إلى المنزل. وصلت عند غروب الشمس، فرأت ضوء واحداً يشع في غرفة الجلوس.

بدأ قلبها يخفق بسرعة وهي تترجل من السيارة وتدخل المنزل. في غرفة الجلوس وجدت مقعد ماندي وراء الكنبة كأن غايب قد رتب البيت بسرعة. أما الوسادات فكانت مصفوفة كالجنود على الكنبة. من الواضح ان غايب عمل كثيراً على تنظيف المنزل لأن رائحة النظافة كانت تنتشر فيه

والهدوء مخيم على المكان. دخلت المطبخ فرأته نظيفاً من دون بقع. ياله من تغيير، عندما رأته للمرة الأولى كانت الأطباق تملأ المكان.

نادت غايب ولكن بدون جواب. أين هو؟ شعرت بالاحباط لعدم الترحيب بها. توجهت إلى غرفة ماندي واخذت تنظر اليها بسعادة. كانت نائمة تبتسم وابهامها في فمها وشعرها ممشط. كانت تفوح منها رائحة الصابون والعطر والبودرة المخصصة للأطفال. وكانت مرتدية فستاناً جميلاً، كانت تبدو كالأميرة، اميرتهما. «آه ماندي.» همست اريكا والدموع تتلألأ في عينيها. «كم اشتقت إليك.» وهمت ان تحملها بين ذراعيها غير آبهة ان استيقظت من النوم. لكنها سمعت صوتاً آتياً من القاعة، نادت غايب عندها سمعت صوت المياه، انه في الحمام يغني اغنية جميلة، اغلقت باب غرفة ماندي وتوجهت إلى الحمام. الباب مفتوح والثياب مرمية على الأرض هنا وهناك والستارة مغلقة، اما اغنيته فكانت من تأليفه، اريكا اريكا تشاشاشا، بدون ان تفكر اخذت ليفة الجسم ذات اليد الطويلة وضربت على زجاج الحمام. صرخ ووجهه يشع بالسعادة: «اريكا، ماذا تفعلين هنا؟»

تمتمت قائلة: «سوف اقوم بأي شيء لأمنعك من الغناء.»

قال: «سوف اسكت واخرج بعد قليل، احبك.»

قالت: «وأنا أحبك أيضاً يا غايب.» استدارت نحو الباب وهي تتابع: «وحتى ابرهن لك ذلك سوف اشعل المشواية، فانا اشعر بالجوع.» ابتسمت واغلقت باب الحمام خلفها.

جلست اريكا امام طاولة المطبخ هي وغايب يتناولان

الطعام ومانديي نائمة على ذراعها بعد ان اطعمتها رضاعتها.

قال وهو يلتهم آخر قطعة من اللحم: «ان صورتك وصورة مانديي ستبقى دائماً في مخيلتي.»

أجابته: «وأنا أيضاً.» رفعت يد مانديي لتقبلها: «مع اني أكره ذلك ولكني سأضعها في مهدها الآن، اعذرني لدقيقة يا غايب. آه لقد اكلت كثيراً ولا استطيع الحراك.»

اقترح غايب: «ربما عليك وضع مانديي في سريرها ثم الذهاب لتنامي حتى ترتاحي أنت ايضاً ولا تنسي ان الكنبة واسعة وتحمل شخصين معاً.»

«ارجوك ليس امام الطفلة.»

قال: «ضعيها في سريرها واسرعي يا حبيبتي.»

عندما عادت اريكا تذكرت ان غايب قد وعدها بمفاجأة عند عودتها فقالت: «اين هديتي يا حبيبي، ان كنت اتذكر جيداً لقد وعدتني بهدية.»

نهض غايب ثم قال لها: «نعم لقد وعدتك ولكن عليك الانتظار كما انتظرت انا، اما الآن ما رأيك بتلك الكنبة؟»

احمر وجهها خجلاً. فاتهمها بالخجل، ردت تعارضه: «أنا امرأة ناضجة يا غايب كيف تعتقدني خجولة؟»

قال: «اعتقد يا حبيبتي مع نكائك الرائع مازلت امرأة بسيطة بريئة مثل مانديي ولكن لا تقلقي سوف اعلمك كل شيء.»

«نظرت اليه قائلة: «حقاً! ومن أين تعلمت حضرتك كل شيء؟»

قال متلعثماً: «أنا اقرأ كثيراً.» أمسك يدها وجرها نحو

مكتبه متابعاً: «ولكن سنفعل ما تريدينه، تعالي وسأريك مفاجأتي.»

«تلك الكتب التي تقرأها غايب هل معها صور؟» قالت ذلك محاولة ان تغيظه.

«كلا لا يوجد صور معها. الآن تعالي لدي شيء سأريك إياه. اني لم أنم سوى لساعتين في الأسبوع الماضي. بعض الأشياء قديمة واثنين فقط جديدتين.»

توقف أمام باب مكتبه وتابع: «عليك اولاً ان تعديني بأن تكوني صريحة معي عما ستشاهدين وتخبريني رأيك بصراحة.»

شعرت بجدية غايب فهزت رأسها قائلة: «موافقة، أنا اعدك.»

علمت اريكا انه يعني رسم اللوحات وانه جاد في ما قام به ويحاول ان يمرن يديه على الرسم، كانت متأكدة من ذلك ولكن لا يعني انه جاهز للانتقاد، بصراحة عليها ان تجعله يفهم انه غير مجبر على الرسم حتى يحظى بحبها. انها تريد أن تعلمه بانها واقعة في حبه هو الرجل المتفهم الحنون الذي يعامل ابنة شقيقه كالوالد المحب قبل ان يكون رساماً مشهوراً، الرجل الذي ايقظ فيها حبها له وللحياة.

بدأت مترددة: «أنا لا اريدك...»

ولكن قاطع حديثها بلطف قائلاً: «لا تتكلمي يا اريكا.» عانقها ثم فتح باب مكتبه وتابع: «فقط انظري.»

نظرت أمامها لمدة طويلة. نظرت إلى نفسها وهي حاملة مانديي النائمة بين ذراعيها، نظرت إلى طفلة تحدق بفراشة طائرة بالقرب من يدها الصغيرة.

وقفت امام لوحة تصور رجل عجوز جالس على مقعد خشبي، ثم إلى لوحة مصور فيها يداً كبيرة ممسكة بيد صغيرة بتضامن، ثم نظرت إلى لوحة أخرى ملياً، كانت تصور رجلاً يتزلج على الجليد والعلم الأميركي خلفه. لقد اعطاها غبريال لوغان هدية، اروع هدية في العالم، اعطاها لوحات فنية من روحه. سارت اريكا لترمي نفسها بين ذراعيه المفتوحتين وهي تبكي من السعادة.

النهاية السعيدة

«آه لقد تأخرت أليس كذلك؟ لو سألني بوب عن توقيع آخر سوف أرميه بكل سعادة من النافذة.» هرعت اريكا إلى غرفة الجلوس وهي تخلع عنها معطفها وترميه على الكرسي حتى تتناوله السيدة جايمس وتعلقه مكانه.

تابعت كلامها: «ماندي حبيبتي انت تبدين جميلة.» ورفعت الطفلة بين ذراعيها وقبلت خديها. «الليلة هي الليلة الكبيرة يا ماندي نحن فخورين بالوالد أليس كذلك؟»

قالت اماندا: «والدي ذهب باي باي يا أمي وارتدى ثيابه المضحكة.»

اكدت لها السيدة جايمس: «ان اماندا كانت هادئة اثناء غيابك.» لقد تعلقت بالطفلة التي جلبتها اريكا منذ ثلاث سنوات «لقد وعدتها بأن تبقى في فستانها الجديد حتى مجيئك يا سيدتي.» وتابعت: «كما ان السيد غايب اضطر ان يذهب قبل عودتك لأنه تأخر وقال ان تلحقيه بأسرع وقت، انه يرتدي بدلته الرسمية الجديدة وقد عقدت له ربطة العنق لأنه لا يعلم كيفية عقدها.»

قالت: «بالطبع يا سيدة جايمس أنا أعلم ذلك، وأنا شاكرة لك. لهذا أردت المجيء إلى المنزل بسرعة.»

لاعبت ماندي قليلاً ووعدتها بصنع الفطائر المحلاة لها في الصباح التالي. اعطت الطفلة للسيدة جايمس قائلة: «ان زوجي يتعب من هذه الحفلات والمعارض، سوف اغير

ثيابي بسرعة وألقي نظرة على ماثيو قبل مغادرتي. هل كان ماثيو جيداً في غيابي؟»

«ومنذ متى لم يكن ماثيو عاقلاً؟» وتابعت السيدة جايمس: «لقد أراد السيد غايب اصطحابه هو ومانديِ معه إلى المعرض ولكنني اقنعته بعدم القيام بذلك، حقيقة سيدة لوغان لو استطاع زوجك ان يبقي الأولاد معه طيلة الوقت فلن يتأخر عن ذلك.»

«هذا لأنه هو نفسه طفل يا سيدة جايمس.» قالت اريكا ذلك وهي تضحك ثم أردفت: «لو تركت الأمر لغايب سوف يصطحب مانديِ وماثيو معه إلى كل مكان يذهب إليه، انه فخور بهما.»

أخذت تمشي على رؤوس اصابعها عندما اقتربت من غرفة الطفل ماثيو حتى تراه. كان ابنها نائماً وواضعاً ابهامه الصغير في فمه، لم تكن اريكا تصدق انها والدة لطفل في شهره السادس، طفل جميل ورائع كماثيو. كان لديه عينيها الخضراوين وشعر غايب الداكن اللون، كان يشبه اخته مانديِ حتى لتعتقدهما توأم. «انا احبك يا حبيبي.» همست له بنعومة قبل ان تغلق الباب خلفها.

بعد ربع ساعة كانت اريكا في سيارتها تتجه إلى البلدة. مرتدية فستاناً طويلاً، كانت حياتها مليئة بالعمل ولكنها حياة سعيدة. لديها زوج تحبه وطفلين رائعين ومهنة تفتخر بها. ما تطلبه المرأة بعد اكثر من ذلك؟ انها تريد الآن موقف للسيارة، دخلت إلى المعرض المشهور وهي تبحث عن بطاقة الدعوة، وكانت تسمع ضجيج الكلام من حولها وهي تسير باحثة عن زوجها.

«أليس رائعاً؟» سمعت رجلاً يتحدث مع زميله. «ان عمله خلاق وبديع، لقد سمعت ان اميلي سيمرز قد اشترت ثلاث لوحات من مجموعته السابقة وقد زاد ثمنها اربع مرات عن ذي قبل.»

اجابه صديقه: «لا يهمني ان زاد ثمنها، انا لا اتخلى عن لوحتي. سوف اخبرك انه كلما نظرت اليها تدمع عيني.»

«انظر هذه هي زوجته اريكا.» قالت امرأة ذلك والحسد في صوتها.

«انهما يحبان بعضهما كثيراً، انه ليس فقط موهوب فهو رجل وسيم...» هكذا كانت الأحاديث التي سمعتها اريكا.

«مرحبا حبيبتي، كنت انتظرك.» قال غايب ذلك رافعاً يده لاريكا وكان يبدو وسيماً في بدلته. امسكت يده وتركته يسحبها إليه.

«من الأحاديث التي سمعتها وانا قادمة اليك، انك فنان رائع ولا يعني هذا انني لم اكن اعلم بروعتك، هل قلت لك كم انا فخورة بكوني زوجتك؟»

أجابها غايب: «لم اسمعها منذ نصف ساعة على ما اعتقد.» شدها نحوه وتابع: «هل تعتقدين حقاً انهم معجبون بلوحاتي؟»

قالت: «ليس فقط بلوحاتك يا حبيبي بل بك ايضاً وعليّ ان احترس من السيدات من الآن وصاعداً.»

شد غايب على يد اريكا وهمس: «حسناً لن يحصلوا عليّ، أنا متعلق بك، كيف حال الأطفال؟»

«الأطفال بصحة جيدة.» وتناولت كوب عصير من النادل.

«لقد اخبرت بوب بأننا سنسافر لمدة شهرين لذلك تأخرت. كان عليّ ان اواسيه.»

ضحك غايب بصوت عال: «شهران امضيهما مع زوجتي وطفليّ الاثنين. لو علم بوب باننا ذاهبان إلى بلدة آلن لتمضية العطلة في المنزل لأصبح معه ذبحة قلبية. ماذا قلت له؟ إلى اين ذاهبين هذه المرة؟»

قالت: «هاواي، وقد حذرني من حدة أشعة الشمس هناك.»

سحبها غايب من يدها بسرعة حتى كاد ان يقع كوب العصير من يدها. «تعالي هنا يا زوجتي.» أمرها غايب بعدما دخلا إلى مكتب المدير.

فوبخته اريكا قائلة: «غايب، ليس من المفروض ان تكون في مكتب المدير تغازل زوجتك، عليك ان تتواجد مع الضيوف والصحفيين في الخارج.»

شدها غايب إلى صدره وقبلها ناسياً العالم من حوله.

تمت